

ڪاهل ڪيلاني

قصص شڪسپير

الملك لير

رسوم: ماهر عبد القادر



obeykendi.com



د

١ - قِصَّةُ عَجُوزٍ

كَانَتْ مَمْلَكَةٌ «إِنْجِلْتِرَا» - حِينَ وَقَعَتْ حَوَادِثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ - تَمُرُّ بِأَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ (مَصَائِبَ)، لَا عَهْدَ لَهَا بِأَمْثَالِهَا مِنْ قَبْلُ. وَإِلَيْكَ مَا تَقُصُّهُ عَجُوزٌ نَيْفَتْ (زَادَتْ) عَلَى خَمْسِينَ وَمِائَةٍ مِنَ السِّنِينَ:
قَالَتِ الْعَجُوزُ:

«لَقَدْ عِشْتُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا. وَرَأَيْتُ فِي طُفُولَتِي - مِنْ الْكَوَارِثِ وَالْمِحَنِ - مَا لَمْ يَخْطُرْ لِإِنْسَانٍ عَلَى بَالٍ. وَلَا زِلْتُ أَذْكَرُ تِلْكَ الْعَوَاصِفَ الْهُوجَ حِينَ اكْتَسَحَتِ الْغَابَاتِ، ثُمَّ أَعَقَبَهَا فَيَضَانُ الْأَنْهَارِ؛ فَأَغْرَقَ مِنَ الْبِلَادِ مَا أَغْرَقَ، وَأَهْلَكَ مِنَ الْحَرْثِ (الزَّرْعِ) وَالنَّسْلِ (الْأَوْلَادِ) مَا أَهْلَكَ!

لَا أَزَالُ أَذْكَرُ - إِلَى الْيَوْمِ - ذَلِكَ الْعَهْدَ الَّذِي شَهِدْتُهُ فِي طُفُولَتِي، وَأَتَمَثَّلُ (أَتَصَوَّرُ) حَوَادِثَهُ الْبَعِيدَةَ، كَأَنَّمَا وَقَعَتْ أَمْسٍ. وَلَكِنَّ مَا حَدَثَ فِي هَذَا الْعَامِ، قَدْ مَحَا - أَوْ كَادَ - كُلَّ مَا اسْتَعْظَمْتُهُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمَاضِيَةِ. وَلَيْسَتْ تِلْكَ الْمَصَائِبُ الَّتِي حَلَّتْ بِبِلَادِنَا - فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الْبَعِيدِ - إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا تَفْهَمُهَا (لَا قِيَمَةَ لَهُ)، إِذَا قِيسَتْ بِمَا وَقَعَ فِي هَذَا الْعَامِ.

فَقَدْ تَأَلَّبَتْ (تَجَمَّعَتْ) قُوَى الشَّرِّ، واجْتَمَعَتِ الكَوَارِثُ، وتَتَابَعَتِ
الأَحْدَاثُ، وتَفَنَّنَتِ الأَبَالِسَةُ والشَّيَاطِينُ فِي إِغْرَاءِ النَّاسِ بِضُرُوبِ
(أَصْنَافِ) مِنَ الظُّلْمِ والقَسْوَةِ والأَنَانِيَّةِ (حُبِّ الذَّاتِ)، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ
أَلْوَانِ الشَّرِّ، وَأَفَانِينِ الشَّقَاءِ (أَنْوَاعِ الشَّدَّةِ والعُسْرِ).
وَفِي شَمَالِ «إِنْجِلْتِرَا» طَغَتْ أَمْوَاهُ البُحَيْرَاتِ، وَأَغْرَقَتْ مِنَ السُّكَّانِ
والمَسَاكِينِ آفَاءً.

ثُمَّ جَاءَ الشِّتَاءُ؛ فَخَرَجَتِ الذَّنَابُ وَأَصْنَافُ الوُحُوشِ الضَّارِيَةِ مِنْ
مَكَامِنِهَا، وَالتَّهَمَتِ الأَغْنَامُ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ، دُونَ أَنْ تُبَالِيَ كَائِنًا كَانَ!
وَعَاشَتِ الخَنَازِيرُ البَرِّيَّةُ فِي أَزْقَةِ القُرَى؛ فَمَلَأَتِ القُلُوبَ دُغْرًا
(خَوْفًا)، وَقَسَّتْ قُلُوبَ النَّاسِ، وَنَمَتَ بَيْنَهُمْ بُدُورُ الشَّقَاقِ وَالتَّفْرِقَةِ،
وَحَلَّ الخِصَامُ مَحَلَّ الوِثَامِ (الْوِفَاقِ)، وَسَرَى الخُلْفُ بَيْنَ الأَزْوَاجِ،
ثُمَّ انْتَقَلَتْ عَدَوَاهُ إِلَى الأَطْفَالِ؛ فَأَصْبَحَتِ البِلَادُ جَحِيمًا لَا يُطَاقُ!!».

٢- مَفْرَجَانُ المَلِكِ

هَذَا بَعْضُ مَا قَصَّتهُ عَجُوزُ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَرَأَتْهُ رُؤْيَا العِيَانِ. وَقَدْ
تَوَخَّيْتُ (تَعَمَّدْتُ) أَنْ أُثْبِتَهُ لَكُمْ - أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ الأَعْزَاءُ - لِتَعْرِفُوا مَتَى
وَقَعَتْ حَوَادِثُ هَذِهِ القِصَّةِ؟ وَفِي أَيِّ عَهْدٍ - مِنْ عُهُودِ الاضْطِرَابِ -

مُثَلَّتْ فُصُولُهَا الْمُحْزِنَةُ؟

وَكَانَ بَدَأُ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الْمُفْرَعَةَ يَوْمَ الْمَهْرِ جَانَ الَّذِي أَقَامَهُ الْمَلِكُ
«لِير» فِي قَصْرِهِ الْكَبِيرِ، مُنْذُ أَلْفِي عامٍ.

وَقَدْ اعْتَزَمَ الْمَلِكُ أَنْ يَقْسِمَ مُلْكَهُ الْعَظِيمَ بَيْنَ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ، وَيَرْفَعَ عَنْ
كَاهِلِهِ أَعْبَاءَ الْمَلِكِ (أَثْقَالَ الْحُكْمِ) وَيُرِيحَ شَيْخُوخَتَهُ، وَيَقْضِيَ أَيَّامَهُ
الْأَخِيرَةَ فِي أَمْنٍ وَسَلَامٍ، وَادِعَ الْخَلْدَ (مُسْتَرِيحَ الْقَلْبِ)، نَاعِمَ الْبَالِ.

وَكَانَتْ الْأَنْوَارُ سَاطِعَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ قَصْرِ الْمَلِكِ، تَنْعَكِسُ
أَضْوَاؤُهَا الْبَهِيجَةَ عَلَى أَعْمَدَةِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيَّةِ، وَتَصَاوِيرِهِ الْمُبْدَعَةَ
الْفَنِّيَّةِ. وَهِيَ تُمَثِّلُ انْتِصَارَ الْمَلِكِ «لِير» عَلَى أَعْدَائِهِ فِي زَمَنِ صِبَاهُ.

وَكَانَ الْمُتَأَمِّلُ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ مِنَ الْحَسْرَةِ وَالْأَسْفِ، كَلَّمَا وَقَعَتْ
عَيْنَاهُ عَلَى هَذَا الْفَتَى الْقَوِيِّ «لِير» الْجَرِيءِ الْبَاطِشِ (الْأَخِيذِ بَعْنَفِ)،
الَّذِي تُمَثِّلُهُ تِلْكَ التَّصَاوِيرُ الْمُعْجَبَةُ، وَقَابَلَهَا بِهَذَا الشَّيْخِ «لِير» الْمَائِلِ
(الْوَاقِفِ) فِي الْحَقْلِ، وَقَدْ جَلَّلَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ، وَقَوَّسَتْ قَنَاتُهُ السَّنُونَ
(حَنَتِ الْأَعْوَامُ ظَهْرَهُ)؛ فَانْتَضَمَتِ الرَّعْشَةُ يَدَيْهِ النَّاحِلَتَيْنِ، وَأَصْبَحَ
يَمْشِي إِلَى الْفَنَاءِ (الْمَوْتِ) بِخُطَوَاتٍ سَرِيعَةٍ.

وَكَانَ اجْتَمَعَتْ فِي ذَلِكَ الْمَهْرِ جَانَ حَاشِيَةَ الْمَلِكِ وَقُوَّادُهُ وَسَرَاهُ
الْبِلَادِ (رُؤُوسًا وَهَاهُنَا)، وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ وَزِيرُهُ الْمُخْلِصُ الْأَمِينُ: «كَتُّ»
وَندِيمُهُ (صَاحِبُهُ) الْمُخْتَارُ: «بُهْلُولُ».

الفصل الأول

١ - عهد الشيخوخة

تبدأ هذه القصة حين بلغ الملك «لير» الثمانين من عمره، وأصبح شيخاً يجمع - إلى ضعف الجسم - خطل الرأي (فساد التفكير)، وسوء التدبير.

وكان الشيخ «لير» - في هذه المرحلة الأخيرة من سنيّه - شديد السامة والضجر. وقد زهدته الشيخوخة في كل شيء من مباحج الحياة، فلم يبق له من أمنيّة (رغبة) يرجوها، ويأنس بها في الحياة إلا بناته الثلاث.

وكان الملك «لير» يحبُّ هؤلاء البنات حباً شديداً، ولا يطيق الصبر على بعادهنّ.

٢ - بنات الملك «لير»

وكانت فتاتان - من بناته الثلاث - قد زوّجتا أميرين. أمّا الثالثة - وهي صغراهنّ - فقد جاء الآن ملك «فرنسا» وأحدُ أمراء «إنجلترا»



وَنَزَلَا ضَيْفَيْنِ عَلَى الْمَلِكِ «لِير» وَأَقَامَا فِي قَصْرِهِ، وَكَانَ كِلَاهُمَا رَاغِبًا
 فِي أَنْ يَتَزَوَّجَ «كُرْدَلِيَا»: صُغْرَى بِنَاتِهِ.
 وَأَمَرَ الْمَلِكُ «لِير» بِاسْتِدْعَاءِ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ، وَقَالَ لَهُنَّ:
 «لَقَدْ عَنَّا لِي - يَا بَنَاتِي الْعَزِيزَاتِ - أَنْ أَقْسِمَ مُلْكِي بَيْنَكُنَّ. وَلَكِنِّي
 أَحَبُّ أَنْ أَتَعَرَّفَ - قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ - مَدَى (مُنْتَهَى) حُبِّكُنَّ إِيَّايَ، لِأَرَى
 رَأْيِي».

٣ - حَدِيثُ «جُنْرِيْلُ»

فَتَقَدَّمَتْ كُبْرَى بِنَاتِهِ، وَاسْمُهَا «جُنْرِيْلُ»؛ وَكَانَتْ - عَلَى الْحَقِيقَةِ -
 امْرَأَةً سَوِيَّةً (خَبِيثَةً)، تَجْمَعُ - إِلَى رِيَاءِهَا النَّادِرِ - لُؤْمًا وَخُبْنًا عَظِيمَيْنِ.
 وَلَمْ تَكُنْ تُضْمِرُ لِأَبِيهَا شَيْئًا مِنَ الْحُبِّ، وَلَكِنَّهَا رَأَتْ أَمَامَهَا فُرْصَةً
 سَانِحَةً لِتَمْلِكِيهِ (مُخَادَعَتِهِ) وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِ؛ طَمَعًا فِي الْمِيرَاثِ الَّذِي لَوَّحَ
 (أَشَارَ) لَهَا بِهِ. فَقَالَتْ لَهُ، وَهِيَ تَتَظَاهَرُ بِالْحُبِّ وَالْوَفَاءِ وَالْحُنُوِّ:
 «إِنَّ حُبِّيكَ (مَحَبَّتِي لَكَ) - يَا أَبِي - لِأَجَلٍ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُعْبِرَ عَنْهُ
 الْأَلْفَاظُ. كَيْفَ لَا، وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ إِنْسَانِ عَيْنِي (سَوَادِهَا وَحَدَقَتَيْهَا)،
 وَأَتَمَّنُّ لَدَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَحُرِّيَّتِي، وَجَمَالِي، وَصِحَّتِي؟!».

فابْتَهَجَ الْمَلِكُ «لِير» بِسَمَاعِ هَذَا الثَّنَاءِ الزَّائِفِ (الْمَغْشُوشِ)، وَقَالَ
لَهَا مَسْرُورًا:

«مَا دُمْتَ تُحَيِّنِنِي إِلَى هَذَا الْحَدِّ، فَإِنِّي جَدِيرٌ بِأَنْ أَمْنَحَكَ ثُلْثَ
مُلْكِي. فَأَنْتِ - فِيمَا أَرَى - حَقِيقَةٌ بِهَذِهِ الْمُكَافَأَةِ».

٤ - حَدِيثُ «رِيحَانَ»

ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى بِنْتِهِ الْوَسْطَى قَائِلًا:

«إِلَى أَيِّ حَدٍّ بَلَغْتَ مَحَبَّتِكَ أَبَاكَ يَا «رِيحَانَ»؟».

فَقَالَتْ لَهُ مُرَائِيَّةً مُتَوَدِّدَةً (مُظْهِرَةً مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ خِلَافَ مَا هِيَ
عَلَيْهِ):

«إِنِّي أُحِبُّكَ - يَا أَبَتَاهُ - قَدَرُ مَا تُحِبُّكَ أُخْتِي «جُنْرِيْلُ» إِنْ لَمْ أَرِدْ عَلَيْهَا؛
فَلَيْسَ لِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كُلِّهَا شُغْلٌ يَشْغَلُنِي عَنْ ذِكْرِكَ، أَوْ يُحَوِّلُنِي عَنْ
حُبِّكَ، أَوْ يُنْسِينِي بَرَكَ بِي. وَمَا أَذْكَرُ أَنَّنِي غَفَلْتُ عَنِ التَّفَكِيرِ فِيكَ - يَا
أَبَتِ - لِحُظَّةٍ وَاحِدَةً».

فَفَرِحَ الْمَلِكُ «لِير»، وَتَمَلَّكَهُ الزَّهْوُ وَالْإِعْجَابُ، وَتَطَلَّقَتْ أَسَارِيرُهُ
(تَهَلَّلَ وَانْفَرَجَتْ تَجَاعِيدُهُ) بِهَجَّةٍ وَحُبُورًا بِمَا سَمِعَ، وَأَثْنَى عَلَى بِنْتِهِ
«رِيحَانَ» أَحْسَنَ الثَّنَاءِ، وَشَكَرَ لَهَا هَذَا الْإِخْلَاصَ النَّادِرَ، وَأَكْبَرَ فِيهَا
وَفَاءَهَا الْعَجِيبَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا:

«لِكِ مِنِّي - أَيُّهَا الْبِنْتُ الْبَارَّةُ - تُلْتُ مُلْكِي. فَاهْنَيْي بِهِ؛ فَأَنْتِ بِهِذِهِ
الْمُكَافَأَةَ جَدِيرَةٌ».

وَأَكْبَرَ الْمَلِكُ ذَلِكَ الْحُنُوَّ، وَاشْتَدَّ إِعْجَابُهُ بِمَا سَمِعَ، وَشَكَرَ لِابْنَتَيْهِ
هَذَا الْحُبِّ النَّادِرِ، وَالْوَفَاءِ الْعَجِيبِ.

٥ - حَدِيثُ «كُرْدَلِيَا»

ثُمَّ التَفَتَ الْمَلِكُ «لِير» إِلَى فَتَاتِهِ الصُّغْرَى «كُرْدَلِيَا»، وَقَالَ لَهَا:
«لَقَدْ جَاءَ دَوْرُكَ - يَا نُورَ قَلْبِي - وَلَسْتُ أَشُكُّ فِي أَنَّ حُبَّكَ إِيَّايَ
أَعْظَمُ مِنْ حُبِّ أُخْتَيْكَ. وَقَدْ ادَّخَرْتُ (اِحْتَفَظْتُ) لَكَ تُلْتَ الْمَلِكِ،
وَهُوَ أَخْصَبُ بُقْعَةٍ فِي مَمْلَكَتِي وَأَغْنَاهَا؛ فَحَدِّثْنِي بِمَقْدَارِ مَا تُضْمِرِينَهُ
لِي (مَا تُخْفِيهِ فِي ضَمِيرِكَ) مِنْ حُبِّ وَوَلَاءِ».

فَقَالَتْ لَهُ «كُرْدَلِيَا»:

«لَيْسَ لَدَيَّ مَا أَحَدُّثُكَ بِهِ، يَا أَبْتَاهُ!».

فَقَالَ لَهَا مَدْهُوشًا:

«مَاذَا تَقُولِينَ؟ أَلَيْسَ لَدَيْكَ مَا تُحَدِّثْنِي بِهِ؟!».

فَقَالَتْ لَهُ «كُرْدَلِيَا»:

«لَا شَيْءَ عِنْدِي، يَا أَبْتَاهُ».



فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ «لِير»:

«كَأَنَّكَ لَا تُحِبِّينِي أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ! أَعِيدِي عَلَيَّ مِسْمَعِي جَوَابَكَ
الْأَخِيرَ».

فَقَالَتْ «كُرْدُليَا»:

«إِنِّي أَحِبُّ جَلَالَتَكَ بِمِقْدَارِ مَا يَحْتَمُهُ عَلَيَّ الْوَاجِبُ الْأَبَوِيُّ، لَا
أَكْثَرَ، وَلَا أَقَلَّ».

٦ - نُبْلُ «كُرْدُليَا»

وإِنَّمَا قَالَتْ «كُرْدُليَا» ذَلِكَ، وَلَمْ تَصْغُ لِأَيِّهَا عِبَارَاتِ الْمَدِيحِ وَالشَّانِءِ
الْخَلَابَةِ - كَمَا فَعَلَتْ أُخْتَاهَا مِنْ قَبْلُ - لِأَنَّهَا أَنْفَتَ (كَرِهَتْ) أَنْ تَسْلُكَ
مَسَالِكَ الرِّيَاءِ، وَسَمَتْ بِنَفْسِهَا عَنْ أَنْ تَكُونَ مُخَادِعَةً مُمَلِّقَةً (تَقُولُ
بِلِسَانِهَا مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهَا).

وكَانَتْ عَلَى يَقِينٍ مِنْ لَوْمِ أُخْتَيْهَا وَخُبْثِ طَوَيْتَيْهِمَا (نَيْتَيْهِمَا)؛
فاحتقرت منهما ذلك الشَّانِءَ الزَّائِفَ، الَّذِي نَطَقْتَا بِهِ، لِتَخْدَعَا أَبَاهُمَا
عَنْ حَقِيقَةِ نَفْسَيْهِمَا؛ رَغْبَةً فِي أَنْ تَظْفَرَا بِمُلْكِهِ الْعَظِيمِ.

وكَانَتْ «كُرْدُليَا» عَارِفَةً أَنَّ أُخْتَيْهَا تَنْوِيَانِ الْغَدْرَ بِأَيِّهِمَا الشَّيْخِ،
وَأَنَّهَمَا لَا تَمَحْضَانِهِ الْوُدَّ (لَا تُضْمِرَانِ لَهُ صَادِقَ الْمَوَدَّةِ)، وَلَا تُؤَدِّيَانِ

له شيئاً من واجبات الأبوّة عليهما، وإن كانتا قد أغرقتاه بعبارات
المديح والثناء التي لا طائل تحتها (لا فائدة منها)، لتظهرًا بغير
مخبرهما (باطنهما) الحقيقيّ.
ثمّ قالت «كُردلياً» مستأنفةً:

«ما أنا إلا بنتك .. وقد أوجدتني من العدم، وخصصتني بحُبِّك
وعطفك. وليس لي إلا أن أقدر ذلك لك؛ فأبادلك حبًّا بحبٍّ، وعطفًا
برعاية؛ فإنَّ واجب أبوتك يقضي عليّ أن أكون وفيّة لك، بارّة بك،
وأن أطيع أوامرك، وأحبك وأجلك الإجلال كلّه».

٧ - غُضْبُ «لير»

كان الملك «لير» يُفردُ (يُخصُّ) بنته الصّغيرة «كُردلياً» بحبٍّ عظيمٍ،
ويؤثرها (يفضّلها) على أختيها الكبرى والوسطى، ولا يطيق فراقها.
وكان يرهفُ أذنيه لسماع آيات الإعجاب به، والثناء عليه، ويحسبها
مُتفنّنة في صوغ عبارات الولاء (الإخلاص)، أكثر من أختيها.
فلما سمع منها ذلك الكلام الفاتر، خاب أمله فيها، وامتلات نفسه
سُخْطًا (غضبًا) عليها، وتبرّمًا (تضجّرًا) بها؛ لأنه ظنَّ أن حبّها إيّاه
أقلُّ من حبِّ أختيها.

وَلَوْ عَرَفَ الْخُبْرَ (لَوْ عَلِمَ الْحَقِيقَةَ)، لَا يَتَقَنَّ أَنَّ «كُرْدَلِيَا» أَخْلَصَ
إِنْسَانٍ لَهُ، وَأَبْرُ ابْنَةٍ بِهِ، وَأَنَّهَا لَمْ تَشَأْ أَنْ تَتَّجِرَ بِحُبِّهَا أَبَاهَا، كَمَا فَعَلَتْ
أُخْتَاهَا.

وَلَوْ أَنَّ أَبَاهَا سَأَلَهَا مِثْلَ هَذَا السُّؤَالِ، فِي غَيْرِ هَذَا الْوَقْتِ، لَأَفْضَتْ
إِلَيْهِ (صَرَّحَتْ لَهُ) بِمَا تَضَمَّرُ لَهُ مِنْ وِفَاءٍ وَبِرٍّ لَا مِثِيلَ لَهُمَا.
أَمَّا وَقَدْ سَأَلَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي يَقْسِمُ فِيهِ مِيرَاثَهُ بَيْنَ بَنَاتِهِ
الثَّلَاثِ، وَرَأَتْ مِنْ رِيَاءِ أُخْتَيْهَا مَا رَأَتْ؛ فَقَدْ سَمَتْ بِهَا عِزَّةً نَفْسَهَا
وَأَبَى لَهَا إِبَاؤُهَا وَسُمُوْ أَخْلَاقِهَا أَنْ تُجَارِيَهُمَا فِي هَذَا التَّمْلِيْقِ، وَتَدْفِعَ
مَعَهُمَا فِي ذَلِكَ التَّلْفِيْقِ.

أَمَّا أَبُوهَا «لِير»، فَقَدْ أَنْسَتْهُ الشَّيْخُوخَةُ وَاجِبَاتِ الْحَزْمِ، وَدَفَعَهُ الْهْتَرُ
(ضَعْفُ الْعَقْلِ) إِلَى سُوءِ الرَّأْيِ، وَخَطَلِ التَّقْدِيرِ (خَطِيئِهِ)؛ فَلَمْ يَرِ فِي
كَلَامِ «كُرْدَلِيَا» إِلَّا زَهْوًا وَكِبْرًا وَتَعَالِيًّا وَغَطْرَسَةً. وَمَا هُوَ - مِنْ شَيْءٍ -
مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي بِسَبِيلِ.

وَتَمَادَى (اسْتَمَرَّ) «لِير» فِي غَضَبِهِ، وَأَسْلَمَ لِسُخْطِهِ الْعِنَانَ (تَرَكَ
لِغَضَبِهِ الزَّمَامَ)؛ فَانْتَهَرَ «كُرْدَلِيَا» (زَجَرَهَا)، وَأَمَرَهَا بِالِاسْتِخْفَاءِ عَنْ
نَاطِرِيهِ فِي الْحَالِ، ثُمَّ قَسَمَ الثُّلْثَ الْبَاقِيَّ مِنْ مُلْكِهِ - الَّذِي كَانَ يَدَّخِرُهُ
لَهَا - بَيْنَ أُخْتَيْهَا الْغَادِرَتَيْنِ.

٨- مَهْرَجَانُ الْمَلِكِ

وَأَقَامَ الْمَلِكُ «لِير» مَهْرَجَانًا عَظِيمًا، جَمَعَ فِيهِ سِرَاةَ الدَّوْلَةِ وَأَعْيَانَهَا، وَأَعْلَنَ أَمَامَهُمْ مَا قَرَّرَهُ وَاشْتَرَطَهُ. وَلَمْ يَحْتَفِظْ لِنَفْسِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَظَاهِيرِ إِلَّا بَلَقَبِ الْمَلِكِ، وَبِمِائَةِ فَارِسٍ يَكُونُونَ لَهُ حَاشِيَةً، عَلَى أَنْ يَنْزَلَ ضَيْفًا عَلَى إِحْدَى بِنْتَيْهِ شَهْرًا، ثُمَّ يَقْضِي الشَّهْرَ التَّالِيَّ فِي قَصْرِ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ يُقِيمُ - فِي الشَّهْرِ الثَّلَاثِ - فِي قَصْرِ الْأُولَى، فَإِذَا جَاءَ الشَّهْرُ الرَّابِعُ عَادَ إِلَى الْأُخْرَى، وَهَكَذَا حَتَّى يَنْتَهِيَ أَجَلُهُ.

وَقَدْ عَجَبَتِ الْحَاشِيَةُ مِنْ هَذَا الْقَرَارِ وَدَهَشُوا لَهُ. وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَجْرُءُوا عَلَى مُخَالَفَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ كَائِنٌ كَانَ أَنْ يُعَارِضَ الْمَلِكَ فِي رَأْيِهِ، مَا خَلَا وَزِيرَهُ الْحَكِيمَ الرَّاشِدَ «كَنت»، الَّذِي أَقْدَمَ عَلَى النُّصْحِ لَهُ بِالِاقْتِلاعِ عَنْ فِكْرَتِهِ الْخَاطِئَةِ (تَرْكِهَا)؛ فَكَانَ نَصِيْبَهُ - عَلَى صِدْقِ نَصِيْحَتِهِ - التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ! فَلَمْ يَخْشَ الْوَزِيرُ النَّاصِحُ تَهْدِيدَ الشَّيْخِ «لِير»، وَلَمْ يَخَفْ وَعِيدَهُ.

فَاعْتَاظَ الشَّيْخُ «لِير» وَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ:

«إِنَّ الْقَوْسَ مُحْضَرَةً، وَقَدْ أُعِدَّ فِيهَا السَّهْمُ. وَمَا هِيَ إِلَّا لِحِظَةٌ حَتَّى يَنْطَلِقَ السَّهْمُ الْقَاتِلُ مِنْهَا. فَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ هَدَفًا لَهُ فَتَهْلِكَ.»

ثُمَّ أَنْشَدَ، يُنذِرُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ:

«انْحَتِ الْقَوْسُ، وَكَادَتْ تَرْمِي
وَفُوقَ السَّهْمِ، وَكَادَ يُضْمِي
فَلَا أَجِدُكَ هَدَفًا لِسَهْمِي».

فَأَجَابَهُ الْوَزِيرُ الشُّجَاعُ:

«إِذَا انْدَفَعَ سَهْمُ الْمَوْتِ إِلَى قَلْبِي فَمَزَقَهُ، فَإِنِّي لَا أَخْشَى شَيْئًا.
وَلْتَفْعَلْ بِي أَقْدَارُ الدَّهْرِ وَأَحْوَالُ الزَّمَنِ مَا تَشَاءُ».
ثُمَّ أَنشَدَ:

«إِنْ يَنْطَلِقُ سَهْمُ الرَّدَى مِنَ الْوَتْرِ
إِلَى فُؤَادِي مُضْمِيًّا، فَيَنْفَطِرُ
فَلَسْتُ هَيَّابًا تَصَارِيفَ الْقَدَرِ».

فَصَاحَ فِيهِ الشَّيْخُ «لِير»:

«وَيْلَكَ أَيُّهَا الْغَيُّ. أَلَا تُقْلَعُ عَنِ لَجَاجَتِكَ وَعِنَادِكَ؟!»
فَأَجَابَهُ الْوَزِيرُ مَحْزُونًا يُحَدِّرُهُ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ، وَيُظْهِرُهُ عَلَى هَوْلٍ مَا
يَعْتَزِمُ إِنْفَادَهُ:

«إِنَّكَ تَرْمِي نَفْسَكَ فِي حُفْرَةِ الظُّلْمِ وَالْاِعْتِدَاءِ! فَعَلَى مَهْلِكَ؛ إِنَّ مَا
تَفْعَلُهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ، وَإِنَّ الظُّلْمَ آخِرَتُهُ سَيِّئَةٌ، وَخَطَرُهُ جَسِيمٌ».



ثُمَّ أَنْشَدَ :

« فِي وَهْدَةِ الْبَغِيِّ أَرَاكَ تَنْحَدِرُ
فَلَا تُسَارِعْ؛ إِنَّهَا إِحْدَى الْكُبْرِ
إِنَّ طَرِيقَ الْبَغِيِّ مَخْشِي الْخَطْرُ ».

فَاشْتَدَّ غَضَبُ الْمَلِكِ وَسُخْطُهُ عَلَى وَزِيرِهِ، وَأَمَرَ بِطَرْدِهِ وَنَفْيِهِ مِنَ
الْمَدِينَةِ، وَتَوَعَّدَهُ بِالْقَتْلِ إِذَا بَقِيَ فِي مَمْلَكَتِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ.
فَقَالَ الْوَزِيرُ:

« إِنِّي أَخْلَصْتُ لَكَ فِي نَصِيحَتِي؛ فَلْتَتَّعِظْ بِمَا أَقُولُ. وَالنُّصْحُ أَثْمَنُ مَا
يُحْفَظُ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى الْوَفَاءِ وَالْإِخْلَاصِ فِي أَوْقَاتِ الشَّدَّةِ وَحَوَادِثِ
الزَّمَنِ ».

ثُمَّ أَنْشَدَ:

« مَحَضَّتْكَ النُّصْحَ؛ فَحَازِرْ، وَاعْتَبِرْ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ النُّصْحَ أَغْلَى مُدْخَرٍ
مِنْ صَادِقِ الْوُدِّ، إِذَا الدَّهْرُ غَدَرَ ».

ثُمَّ خَرَجَ مَحْزُونًا مَقْهُورًا، وَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ آخِرَةَ مَلِيكِهِ قَدْ قَرَبَتْ، وَأَنَّ
مَضْرَعَهُ وَشَيْكَ (هَلَاكُهُ مُسْرِعٌ إِلَيْهِ).

٩ - وَدَاعُ «كُرْدَلِيَا»

قُلْنَا - آنفًا - إِنَّ خَاطِبِينَ قَدْ جَاءَ يَرِغْبَانِ فِي الزَّوْجِ بِالْأَمِيرَةِ «كُرْدَلِيَا»،
وَهُمَا مَلِكُ «فَرَنْسَا»، وَأَحَدُ أُمَّرَاءِ «إِنْجِلْتِرَا».

فَأَمَّا الْأَمِيرُ الْإِنْجِلِيزِيُّ، فَقَدْ كَفَّ (امْتَنَعَ) عَنِ طَلْبِ الزَّوْجِ بِالْأَمِيرَةِ
«كُرْدَلِيَا»، بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ حَقَّهَا فِي مِيرَاثِ أَبِيهَا.

وَهُنَالِكَ تَوَجَّهَ مَلِكُ «فَرَنْسَا» إِلَى الْأَمِيرَةِ «كُرْدَلِيَا»، وَأَصْرَّ (عَزَمَ)
عَلَى الزَّوْجِ بِهَا، بَعْدَ أَنْ خَذَلَهَا أَبُوهَا وَخَطَبِيهَا الْآخَرُ.

وَقَدْ أَعْجَبَ مَلِكُ «فَرَنْسَا» بِصِرَاحَةِ «كُرْدَلِيَا»، وَأَكْبَرَ فِيهَا الْعِزَّةَ الَّتِي
أَظْهَرَتْهَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، إِذْ رَضِيَتْ بِالزُّوْلِ عَنْ نَصِيْبِهَا فِي الْمُلْكِ،
وَرَأَتْ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا فَقِيرَةً مُعْدِمَةً (لَا تَمْلِكُ شَيْئًا)، مُؤَثَّرَةً
(مُفْضِلَةً) ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَتَّجِرَ بِحُبِّ أَبِيهَا، وَتَتَّخِذَهُ سُلْمًا إِلَى مُشَارَكَةِ
أُخْتَيْهَا فِي الْمِيرَاثِ.

وَبَعْدَ زَمَنِ قَصِيرٍ رَأَى مَلِكُ «فَرَنْسَا» أَنَّ يَعُودَ بِنِزْوَجَتِهِ «كُرْدَلِيَا» إِلَى
وَطَنِه، فَاسْتَأْذَنَتْهُ فِي وَدَاعِ أُخْتَيْهَا. وَقَدْ فَارَقْتُهُمَا دَامِعَةَ الْعَيْنِ، مَحْزُونَةً
الْقَلْبِ، وَأَوْصَتْهُمَا خَيْرًا بِأَبِيهِمَا. فَأَغْلَطْنَا لَهَا الْقَوْلَ، وَخَاشَتْنَاهَا فِي
الْحَدِيثِ (اشْتَدَّتْ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَيْهَا فِي الْكَلَامِ)، وَقَالَتْ لَهَا سَاخِرَتَيْنِ:

«لَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى تَوْصِيَّتِكَ؛ فَلَسْتُ بِأَبْرَّ مِنْ كِلْتَيْنَا بِهِ، وَمَا هُوَ بِأَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْهُ عَلَيْنَا».

أَمَّا أَبُوهَا الْمَلِكُ «لِير»، فَقَدْ قَالَ لِرُؤُوسِهَا غَاضِبًا:

«اذْهَبِي بِهَا إِلَى حَيْثُ شِئْتِ؛ فَمَا أُطِيقُ رُؤْيَا وَجْهَهَا بَعْدَ الْآنَ».

فَقَالَ لَهُ مَلِكُ «فَرَنْسَا»:

«لِيَكُنْ مَا تَشَاءُ. فَوَدَاعًا».

ثُمَّ سَافَرَتْ «كُرْدَلِيَا» صُغْرَى بَنَاتِ الشَّيْخِ «لِير» مَعَ زَوْجِهَا مَلِكِ

«فَرَنْسَا» إِلَى وَطَنِهِ، حَيْثُ اتَّخَذَتْهُ لَهَا مُقَامًا (مَكَانًا تُقِيمُ فِيهِ) بَعْدَ ذَلِكَ

الْيَوْمِ.





الفصل الثاني

١ - في قصر «جُزَيْل»

هدأت نائرة المَلِكِ «لير» بعد أن أقصى (أبعد) بنته المُخْلِصَةَ
الوفية «كردليا» عن مملكته، وهو يحسبها مثال العُقوق (عدم القيام
بالواجب نحو أبيها) والغدر والكبرياء.

وذهب المَلِكُ عَلَى الفورِ إلى قصرِ بنته «جُزَيْل»، ولكنه ما عتَمَ
(ما لبث) أن أدرك حقائق الأشياء التي كان الرياء والنفاق يستُرانها
عن ناظرِيه، ويحجبانها عن عينيهِ. وعرف أن الألفاظ المعسولة،
والمدائح المنمقة (المزخرفة) الزائفة، لا تُغني عن الحق شيئاً.

لقد تملكَت البلاد - بعد أبيها - وظفرت (فازت) بكل ما منحها إياه
من سلطانٍ وقوة، واستتب (استقر) لها المُلْكُ؛ فكان أول همها أن
تتنكر (تتغير) لمن أحسن إليها، وتجزيه على صنيعه المشكور أقبح
جزاء، وتكافئه إساءة بإحسان، وعقوقاً ببر، وغدراً بوفاء!

٢- خُبْتُ «جُنْرِيْلُ»

وَرَأْتُ «جُنْرِيْلُ» أَنَّ أَبَاهَا قَدْ أَصْبَحَ - بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيْلَةٍ - مُمَلًّا ثَقِيْلًا لَا يُطَاقُ، وَاسْتَكْثَرَتْ عَلَيْهِ مِائَةَ الْفَارِسِ الَّذِينَ اسْتَبَقَاهُمْ لِنَفْسِهِ، لِيُرَافِقُوهُ فِي حَلِّهِ وَتَرِّحَالِهِ (فِي إِقَامَتِهِ وَسَفَرِهِ).

وَأَصْبَحَتْ «جُنْرِيْلُ» تَلْقَى أَبَاهَا - كُلَّمَا وَقَعَ نَظْرُهَا عَلَيْهِ - بِوَجْهِ عَبُوسٍ، وَتَقْطُبُ حَاجِبِيهَا (تَعْبِسُ) كُلَّمَا نَادَاهَا، وَلَا تُلَبِّي (لَا تُجِيبُ) لَهُ رَجَاءً، وَلَا تُنْفِذُ لَهُ مَشِيئَةً.

وَاقْتَدَى بِهَا خَدْمُهَا فِي مُعَامَلَةِ هَذَا الشَّيْخِ؛ فَأَصْبَحُوا لَا يُلَبُّونَ لَهُ أَمْرًا، وَلَا يُعَامِلُونَهُ بِغَيْرِ الْإِهْمَالِ وَالِاخْتِقَارِ وَقِلَّةِ الْاِكْتِرَاطِ.

٣- وَفَاءُ الْوَزِيرِ

أَمَّا الْوَزِيرُ الْوَفِيُّ «كَنتُ» الَّذِي طَرَدَهُ الشَّيْخُ «لِير» مُكَافَأَةً لَهُ عَلَى صِدْقِ وَفَائِهِ، وَأَمَرَ بِنَفْيِهِ مِنْ مَدِينَتِهِ، فَقَدَّ أَبِي عَلَيْهِ إِخْلَاصَهُ لِمَلِيكِهِ أَنْ يَتْرُكَهُ نَهْبَ الْمَصَائِبِ وَالْأَحْدَاثِ (تَنْهَبُهُ وَتَفْتَرِسُهُ)، وَنُهْزَةَ الْخُطُوبِ وَالْكَوَارِثِ (فُرْصَةً لِلْبَلَايَا وَالنَّكَبَاتِ). فَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْمَدِينَةِ؛ وَلَكِنَّهُ غَيَّرَ مِنْ هَيْئَتِهِ، وَبَدَّلَ مِنْ شَكْلِهِ، وَتَرَيًّا بِزِيِّ الْخَدَمِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَلِيكِهِ

خَادِمًا أَمِينًا يَرَعَاهُ وَيَحْرُسُهُ، وَيَرْقُبُهُ عَن كَثَبٍ (عَن قُرْبٍ).
وَرَضِيَ الْمَلِكُ «لِير» بِهَذَا الْخَادِمِ الْجَدِيدِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ. وَلَمْ
يَنْقُضِ عَلَى عَوْدَتِهِ إِلَى مَلِكِهِ يَوْمَ كَامِلٍ، حَتَّى رَأَى خَادِمًا مِّنْ خَدَمِ
«جُنْرِيَلٍ» يُجَادِلُ الْمَلِكَ «لِير»، وَيَسْتَهِينُ بِهِ، لِيُرْضِيَ بِذَلِكَ سَيِّدَتَهُ
«جُنْرِيَلٍ».

فَغَضِبَ الْوَزِيرُ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ وَقَاحَةَ ذَلِكَ الْخَادِمِ الْجَرِيءِ، وَثَارَتْ
ثَائِرَتُهُ (غَضِبَ) عَلَيْهِ، فَصَفَعَهُ (ضَرَبَهُ) صَفْعَةً كَادَتْ تُذْهِلُهُ (تُذْهِبُ
عَقْلَهُ) وَتُرْدِيهِ (تُهْلِكُهُ)؛ جَزَاءً لَهُ عَلَى سَفَاهَتِهِ وَتَطَاوُلِهِ عَلَى سَيِّدِهِ.
فَابْتَهَجَ الْمَلِكُ «لِير» بِوَفَاءِ هَذَا الْخَادِمِ الْجَدِيدِ وَإِخْلَاصِهِ، وَهُوَ لَا
يَعْرِفُ أَنَّهُ وَزِيرُهُ النَّاصِحُ «كَنت» الَّذِي لَمْ يَأَلْ (لَمْ يُبْقِ) جُهْدًا فِي
تَحْذِيرِهِ عَوَاقِبِ التَّسْرُّعِ وَالْبَغْيِ.

٤- «الْبُطُولُ»

وَلَقَدْ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ «لِير» بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنْهُ سُلْطَانُهُ، وَدَالَتْ دَوْلَتُهُ
(انْقَلَبَتْ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ). وَلَمْ يَبْقَ إِلَى جَانِبِهِ - بَعْدَ وَزِيرِهِ الْأَمِينِ - غَيْرُ
نَدِيمِهِ الَّذِي كَانَ يُلَقَّبُهُ مَرَّةً بِالْبُهْلُولِ؛ لِخِفَّتِهِ وَدُعَابَتِهِ (ظَرْفِهِ وَفِكَاهَتِهِ)،
كَمَا يُلَقَّبُهُ - مَرَّةً أُخْرَى - بِالْمَجْنُونِ؛ لِمَا اعْتَادَهُ مِنْ خَلْطِ الْجِدِّ بِالْهَزْلِ

والمُجُونِ (عَدَمُ الْمَبَالَاةِ)، وإلباسِ الحَقِيقَةِ ثَوْبَ الْبَاطِلِ .
وَكَانَ «الْبُهْلُولُ» يُحَاوِلُ جَاهِدًا أَنْ يُدْخَلَ السُّرُورَ وَالْبَهْجَةَ عَلَى
نَفْسِ مَلِيكِهِ، وَيَتَفَنَّزُ فِي تَسْلِيَّتِهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ.

5 - ذَكَاءُ «الْبُهْلُولِ»

وَكَانَ «الْبُهْلُولُ» يُحَاوِلُ أَنْ يُبَصِّرَ «لَيْرَ» بِعَاقِبَةِ مَا فَعَلَ . وَقَدْ أَدْرَكَ
- بِثَاقِبِ بَصَرِهِ (بِنَظَرِهِ النَّافِذِ) - مَا تُدْبِرُهُ «جُنْرِيْلُ» لِأَبِيهَا مِنَ الْمَكَايِدِ،
وَعَرَفَ أَنَّهَا تَوَدُّ جَاهِدَةً أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْهُ .
وَقَدْ عَلِمَ «الْبُهْلُولُ» أَنَّ «جُنْرِيْلَ» لَنْ تَغْفَرَ لِأَبِيهَا وَخَادِمِهِ مَا لَقِيَهُ
مِنْهَا خَادِمُهَا، وَهِيَ الَّتِي أَوْعَزَتْ (أَشَارَتْ) إِلَيْهِ - كَمَا أَسْلَفْنَا - بِأَنْ
يَعْصِي أَمْرَ أَبِيهَا، وَلَا يُلَبِّيَ لَهُ طَلْبًا .

6 - قِصَّةُ الْعُصْفُورِ وَالْغُرَابِ

فَدَخَلَ «الْبُهْلُولُ» يُغْنِي مُدَاعِبًا (مُمَازِحًا) سَيِّدَهُ، مُتَوَخِّيًا (قَاصِدًا)
أَنْ يُنْذِرَهُ بِالكَارِثَةِ قُبَيْلَ وَقُوعِهَا؛ حَتَّى لَا يُفَاجَأَ بِهَا، وَكَانَ يُلَمِّحُ لَهُ بِمَا
يُرِيدُ، وَيَقُولُ:

«أخبرتنا القصص التي نقلتها إلينا العصور الماضية أن عصفورًا
 أبصر غرابًا وليدًا في عشه، يكاد يهلك؛ فقرَّب منه ما يبعث في جسمه
 الدَّفءَ، وسقاه ما يشفيه، فلما نشط الغراب الصَّغيرُ، وتقدَّمت به
 الأيامُ، وبلغ مبلغ الشَّبابِ، دفعته نفسه الشَّريرةُ إلى أن يقتل العصفورَ
 الَّذي قدَّم له فضلًا، وأسدى إليه جميلًا؛ وذلك سوءُ الجزاءِ». ثمَّ يَنشدُ:

«قد حدَّثتنا أصدقُ الأمثالِ فيما مضى من الزَّمانِ الخالي
 بقصةِ تُروى عن العصفورِ أبصرَ - في وكرٍ من الوُكُورِ -
 فرخَ غرابٍ مُشرفًا على التَّلَفِ فقال للفرخِ: اطمئنِّ، لا تخفْ
 وأدْفأَ الفرخَ، وداواه، ولم يزل به حتَّى شفاه من ألمِّ
 وكانَ عندهُ العزيزُ الغالي وأكْرَمَ الأبناءِ والعِيالِ
 حتَّى إذا الفرخُ غدا غرابًا لم يرَ - غيرَ قتله - ثوابًا
 وأهلك الغرابُ من ربَّاهُ جزاءَ ما قدَّم من حُسْناءِ». فصيحٌ «ليِر» متعجبًا:

«وماذا تعني بهذه القصة، يا «بُهلول»؟».

فأجابهُ ضاحكًا:

«أراك - يا عمِّ - فعلتَ فعلهُ وسوف تُجزى في الحياةِ مثلهُ
 أنتَ شبيهُ ذلك العصفورِ».



فَصَرَخَ «لَيْرٌ» يَتَوَعَّدُهُ بِالْوَيْلِ (العَذَابِ وَالْهَلَاكِ) إِذَا تَمَادَى فِي دُعَابَتِهِ (مُزَاحِمِهِ).

فَقَالَ «الْبُهْلُولُ» ضَاحِكًا:

«أَعْطَيْكَ - إِنْ كَذَّبْتَنِي - طُرْطُورِي!».

٧ - حَاشِيَةُ الْمَلِكِ

وَمَا أَسْرَعَ مَا تَحَقَّقَتْ فِرَاسَةُ «الْبُهْلُولِ»؛ فَإِنَّ «جُنْرِيْلَ» تَلَكَّ الْبِنْتَ الْخَبِيْثَةَ الْعَاقَةَ (الَّتِي لَمْ تُرَاعِ حَقَّ الْأَبُوَّةِ)، لَمْ تَشَأْ أَنْ تَتْرَكَ أَبَاهَا يَقْضِي بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ وَادِعَا هَانئًا مُسْتَرِيحَ الْقَلْبِ، وَأَبَى عَلَيْهَا خُبْثُهَا وَلُؤْمُ طَبْعِهَا إِلَّا أَنْ تُنْغَصَّ عَلَيْهِ عَيْشُهُ، وَتُكَدَّرَ عَلَيْهِ صَفْوَ حَيَاتِهِ، وَقَدْ اسْتَدْعَتْهُ إِلَيْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ:

«لَقَدْ مَلَأْتُ حَاشِيَتِكَ - لِكثْرَةِ عَدَدِهَا - قَصْرِي، وَأَضْبَحْتُ لَا أُطِيقُ جَلْبَتَهُمْ وَضَوْضَاءَهُمْ (أَصْوَاتَهُمُ الْعَالِيَةَ) بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ. وَأَرَاكَ جَدِيرًا أَنْ تَتَخَيَّرَ نَخْبَةً (خُلَاصَةً) قَلِيلَةً - عَلَى نَصِّ سِنِّكَ (فِي مِثْلِ عُمَرِكَ) - لِمُرَافَقَتِكَ إِنْ شِئْتَ».



٨- دَعْوَةُ «لِير»

فَغَضِبَ الْمَلِكُ «لِير» مِمَّا قَالَتْهُ بِنْتُهُ، وَقَالَ لَهَا:
«إِنَّ حَاشِيَتِي جَمِيعًا مِنْ خَيْرَةِ النَّاسِ أَدَبًا وَمَعْرِفَةً، وَلَيْسَ فِي اسْتِطَاعَةِ
أَحَدٍ أَنْ يَتَّهَمَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ التُّهْمَةِ الْكَاذِبَةِ».
ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ بِاسْتِدْعَاءِ جِيَادِهِ (خَيْلِهِ) وَإِسْرَاحِهَا، مُعْتَزِمًا أَنْ يُغَادِرَ
بِنْتُهُ عَلَى الْفُورِ، وَالتَّفَتَ إِلَيْهَا عَابِسًا، وَقَالَ:
«لَمْ يَبْقَ فِي مَقْدُورِي أَنْ أَصْبِرَ عَلَى هَذَا التَّجَنِّي (ادِّعَاءِ التُّهْمِ) يَا
«جُنْرِيَل». وَإِنِّي لِأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ رَزَقَنِي بِنْتًا أُخْرَى غَيْرَكَ، تُكْرِمُ
وِفَادَتِي (قُدُومِي عَلَيْهَا)، وَتَقْدُرُ أَبُوْتِي لَهَا، وَتَعْرِفُ مِنْ حَقِّي عَلَيْهَا مَا
أَنْكَرْتِهِ أَنْتِ، أَيَّتَهَا الْعَاقَةُ الْجَاحِدَةُ».
ثُمَّ دَعَا عَلَى بِنْتِهِ «جُنْرِيَل» أَنْ يُصِيبَهَا اللَّهُ بِالْعُقْمِ؛ فَلَا تَلِدْ مَدَى
حَيَاتِهَا، أَوْ يَرْزُقَهَا بَشَرًّا الْأَبْنَاءِ؛ لِيَجْزِيَهَا مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ الْغَادِرِ، وَأَنْ
تَمُوتَ شَرًّا مَيِّتَةً.

٩- دُعَابَةُ «الْبُهْلُول»

وَخَشِي «الْبُهْلُول» أَنْ يَطْغَى الْحُزْنُ عَلَى قَلْبِ «لِير» فَيُهْلِكَه؛ فَجَرَى
- عَلَى عَادَتِهِ - فِي مُدَاعَبَتِهِ (مُمَازَحَتِهِ)، وَرَاحَ يُغْنِيهِ مُنْشِدًا:

«يَا لَيْتَ لِي - يَا عَمَّ - طُرْطُورَيْنِ! أُعْطِيكَ طُرْطُورًا مِّنَ الْإِثْنَيْنِ
وَأَجْعَلُ الْآخَرَ نُصْبَ عَيْنِي.»

فَقَالَ:

«وَمَاذَا أَصْنَعُ بِطُرْطُورِكَ، يَا «بُهْلُولُ»؟ ضَعُفُهُمَا مَعًا نُصْبَ عَيْنِكَ
(أَمَامَهَا!)».

فَأَجَابَهُ ضَاحِكًا:

«إِنَّ بَيْتِيكَ لَا تُعْطِيَانِكَ شَيْئًا لَوْ طَلَبْتَهُ. وَمَا أَحَقَّكَ بِأَنْ تُرَوِّيَ خَدَيْكَ
(تَبْلَهُمَا) بِدَمْعَتَيْنِ؛ جَزَاءَ خَطِّئِكَ فِي نُزُولِكَ لَهُمَا عَنِ الْمُلْكِ.»
ثُمَّ أَنْشَدَهُ:

«اطْلُبْنِي - إِنْ شِئْتَ - مِنَ الْبَيْتَيْنِ!
أَلَسْتَ أُعْطِيَهُمَا تَاجِينَ؟
فَالْيَوْمَ تَلْقَى أَوَّلَ النُّصْفَيْنِ
وَفِي غَدٍ تَشْقَى بِطَرْدَتَيْنِ
إِنَّكَ قَدْ خُدِعْتَ خُدْعَتَيْنِ
وَأَبِكِ عَلَى نَفْسِكَ مَرَّتَيْنِ.»

فَقَالَ لَهُ «لِيرُ»:

«مَا أَصْدَقَ مَا تَقُولُ، أَيُّهَا الْمَجْنُونُ الْعَاقِلُ! وَلَكِنْ فَاتَ وَقْتُ النَّدَمِ،
وَلَيْسَ لَنَا مِنْ حِيلَةٍ فِي رَدِّ مَا فَاتَ. عَلَى أَنَّ بَيْتِي الثَّانِيَةَ طَيِّبَةُ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ

تَدَّخِرَ (لَنْ تُبْقِيَ) وَسَعًا فِي إِسْعَادِي، وَتَوْفِيرَ جَالِيَاتِ الْبَهْجَةِ (أَسْبَابِ
السُّرُورِ) لِي. وَسَتْرِيكَ الْآيَّامُ صِدْقَ مَا أَقُولُ».

١٠ - عِنْدَ «رِيحَانَ»

وَاعْتَزَمَ الْمَلِكُ «لِير» أَنْ يَقْضِيَ بَقِيَّةَ عُمُرِهِ فِي قَصْرِ بِنْتِهِ الثَّانِيَةِ
«رِيحَانَ»؛ فَبَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولَهُ الْوَزِيرَ «كَنت» بِكِتَابٍ يُنَبِّئُهَا (يُخْبِرُهَا)
فِيهِ بِمَا اعْتَزَمَهُ وَقَرَّرَهُ، وَيَعِدُّهَا بِالذَّهَابِ إِلَيْهَا بَعْدَ وَقْتٍ قَلِيلٍ.
وَلَمْ يَكِدِ الْوَزِيرُ «كَنت» يَبْلُغُ قَصْرَ «رِيحَانَ»، وَيُقْضِي إِلَيْهَا
(يُخْبِرُهَا) بِمَا لَقِيَهِ أَبُوهَا الشَّيْخُ «لِير» مِنْ عُقُوقٍ (إِنْكَارٍ لِحَقِّهِ)، حَتَّى
جَاءَ رَسُولٌ مِنْ أُخْتِهَا «جُنْرِيَل»، وَأَسْلَمَهَا كِتَابَهَا الَّذِي بَعَثَتْ بِهِ إِلَيْهَا،
تُوصِيهَا بِأَبِيهَا شَرًّا، وَتُوغِّرُ صَدْرَهَا (تُثِيرُ غَضَبَهَا) عَلَيْهِ، وَتُدَبِّرُ لَهَا
خُطَّةً خَبِيثَةً لِلْخِلَاصِ مِنْهُ وَمِنْ أَتْبَاعِهِ وَحَاشِيَتِهِ!!

١١ - حَبْسُ الْوَزِيرِ

وَمَا أَتَمَّتْ «رِيحَانَ» كِتَابَ أُخْتِهَا قِرَاءَةً حَتَّى أَغْلَظَتْ الْقَوْلَ لِرَسُولِ
أَبِيهَا. فَلَمَّا حَاوَلَ أَنْ يُذَكِّرَهَا بِمَا لِأَبِيهَا عَلَيْهَا مِنْ فُرُوضٍ وَحُقُوقٍ، ثَارَتْ
فِي وَجْهِهِ مُغْضَبَةٌ، وَأَمَرَتْ بِحَبْسِهِ فِي سِجْنٍ مُظْلَمٍ، جَزَاءً لَهُ عَلَى جُرْأَتِهِ!

١٢ - مَقْدَمُ «لِير»

وَبَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ قَدِمَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ «لِير». وَمَا عَلِمَ أَنَّ رَسُولَهُ
قَدْ سُجِنَ، وَأَنَّ بِنْتَهُ «رِيحَانَ» هِيَ الَّتِي أَمَرْتُ بِحَبْسِهِ، حَتَّى زَادَ هَيَاجُهُ،
وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهَا.
فَقَالَتْ لَهُ «رِيحَانُ»:

«خَفَّفْ مِنْ سُخْطِكَ - أَيُّهَا الْوَالِدُ الشَّيْخُ - فَمَا أَظُنُّ أَنَّ أُخْتِي قَدْ
أَخْرَجَتْكَ مِنْ قَصْرِهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَفَدَ صَبْرُهَا مِنْ لَجَاجَةِ اتِّبَاعِكَ
(تَخَاصُمِهِمْ) وَصَخْبِهِمْ (صَيِّحَاتِهِمْ)، وَضَاقَ ذَرْعُهَا (ضَجِرَتْ) بِمَا
اِقْتَرَفُوهُ (ارْتَكَبُوهُ) مِنْ سُرُورٍ وَأَثَامٍ.
وَهِيَ - بِلا شَكٍّ - فِي سَعَةِ مِنَ الْعُدْرِ؛ لِأَنَّ قُصُورَ الْمُلُوكِ جَدِيرَةٌ أَنْ
تُنزَّهَ (تُبْرَأَ وَتُخَلَّصَ) مِنْ عَبَثِ الْعَائِشِينَ، وَلَهُوَ الْهَازِرِينَ (السَّاخِرِينَ
فِي الْقَوْلِ).

١٣ - حُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ

لَمْ يَسْتَطِعْ «لِير» أَنْ يُصَدِّقَ مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاهُ مِنْ بِنْتِهِ الثَّانِيَةِ، بَعْدَ مَا
رَأَاهُ مِنْ عُقُوقِ بِنْتِهِ الْأُولَى؛ فَخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَالِمٌ، وَكَادَ يُغْمَى عَلَيْهِ مِنْ

فَرَطِ الْأَسَى وَالْحُزْنَ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرَ فِي الْجَزَعِ (شِدَّةَ الْحُزْنِ) فَائِدَةً؛
فَاعْتَصَمَ بِالصَّبْرِ (لَجَأً إِلَيْهِ) - مَا وَسَعَهُ حِلْمُهُ - وَقَالَ لِبِنْتِهِ، وَهُوَ يُغَالِبُ
الدَّمَعَ جَاهِدًا:

« مَا أَظُنُّ أَنَّكَ - مَهْمَا عَقَقْتِ أَبَاكَ - بِالغَةِ بَعْضَ مَا بَلَغَتْهُ أُخْتُكَ مِنْ
جُحُودٍ وَعُقُوقٍ! »

وَإِنِّي لِأَخَالُ أَنَّكَ أَقْرَبُ إِلَى الْبِرِّ بِأَبِيكَ، وَأَدْنَى إِلَى الْوَفَاءِ وَالْحُنُوفِ
عَلَيْهِ، وَالْإِشْفَاقِ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ. فَحَازِرِي أَنْ تَنْهَجِي نَهَجَ «جُنْرِيْلَ»
(تَبْعِي طَرِيقَهَا)، فَتُخَيِّبِي تَأْمِيلَ أَبِيكَ، وَتَمْلِي قَلْبَهُ يَا سَأَا؛ بَعْدَ أَنْ
وَهَبَ إِلَيْكَ أَثْمَنَ مَا يَمْلِكُ، وَلَمْ يَضَنْ (لَمْ يَبْخُلْ) عَلَيْكَ بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ
مِنْ مُلْكٍ وَجَاهٍ وَمَالٍ. »

١٤ - مَقْدَمُ «جُنْرِيْلَ»

وَمَا أَتَمَّ قَوْلَهُ، حَتَّى قَدِمَتْ بِنْتُهُ «جُنْرِيْلُ»؛ فَاَنْضَمَّتْ إِلَى أُخْتِهَا
«رِيْجَانُ»، وَظَلَّتْ تُوَعِّرُ صَدْرَهَا عَلَى أَبِيهَا الشَّيْخِ؛ حَتَّى قَسَا عَلَيْهِ
قَلْبُهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَسَارَتْ مَعَهَا فِي الْعُقُوقِ إِلَى أَبْعَدِ مَدَى.
فَقَالَتْ «رِيْجَانُ»:



«لَقَدْ اسْتَكْثَرْتُ عَلَيْكَ أُخْتِي أَنْ تَكُونَ حَاشِيَتِكَ مُؤَلَّفَةً مِنْ خَمْسِينَ
فَارِسًا. أَمَّا أَنَا، فَأَسْتَكْثِرُ عَلَيْكَ نِصْفَ هَذَا الْعَدَدِ، وَأَرَى أَنْ خَمْسَةَ
وَعِشْرِينَ فَارِسًا كَثِيرٌ عَلَيْكَ. وَمَا أَذْرِي: مَا حَاجَةٌ مِثْلِكَ - أَيُّهَا الشَّيْخُ -
إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْحُرَّاسِ وَالْجُنْدِ؟ بَلْ مَا حَاجَتُكَ إِلَى عَشْرَةِ
فُرْسَانٍ؟ بَلْ إِنِّي لَأَسْتَكْثِرُ عَلَيْكَ خَمْسَةَ!
صَدَّقْنِي إِنَّكَ لَنْ تَحْتَاجَ إِلَى فَارِسٍ وَاحِدٍ، فَكَيْفَ بِجَمْعٍ مِنَ
الْفُرْسَانِ؟ إِنْ خَدَمِي لِيُؤَدُّونَ لَكَ - أَيُّهَا الشَّيْخُ - كُلَّ مَا تُرِيدُ؛ فَمَا
انْتِفَاعُ مِثْلِكَ بِالْحَاشِيَةِ؟!».

١٥- غُضْبَةُ الشَّيْخِ

وَتَمَّ (هُنَا) أَذْرَكَ الشَّيْخُ «لِير» أَنَّ ابْنَتَهُ الثَّانِيَةَ لَيْسَتْ أَبْرَّ بِهِ مِنَ الْأُولَى؛
فَاشْتَدَّ عَلَى بِنْتَيْهِ سُخْطُهُ، وَدَعَا عَلَيْهِمَا جَمِيعًا أَنْ تَلْقِيَا الْجَزَاءَ الْعَادِلَ،
وَأَنْدَرَهُمَا بِسُوءِ الْمَصِيرِ.
وَلَا تَسَلْ عَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى قَلْبِهِ مِنَ الْيَأْسِ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ مِنْ عَدْرِ بِنْتَيْهِ
مَا لَمْ يَكُنْ لِيَخْطُرَ لَهُ عَلَى بَالٍ؛ فَصَاحَ مُتَأَلِّمًا مَحْزُونًا:
«أَخْرِجَا مَعِيَ رَسُولِي وَبُهْلُولِي، وَلَنْ تَرَيَانِي بَعْدَ الْيَوْمِ!».

الفصل الثالث

١ - هُبُوبُ الْعَاصِفَةِ

كَانَتْ اللَّيْلَةُ عَاصِفَةً قَارِسَةً (شَدِيدَةَ الْبَرْدِ). وَقَدْ أَدْرَكَ الشَّيْخُ «لِير»
أَنَّ بِنْتَيْهِ الْغَادِرَتَيْنِ قَدْ أَسْلَمَتْهُ إِلَى تِلْكَ الزَّوَابِعِ الثَّائِرَةِ، وَالْأَعَاصِيرِ
الْهَائِجَةِ، دُونَ أَنْ تَأْخُذَهُمَا فِيهِ رَحْمَةً؛ فَأَسْلَمَ لِحَوَادِهِ الْعِنَانَ، وَقَدْ كَادَ
الْيَأْسُ يُذْهِلُهُ، وَبَدَأَ عَلَيْهِ الْخَبَالُ (اِخْتِلَاطُ الْعَقْلِ)؛ فَلَمْ يُبَالِ الزَّمْهَرِيرَ
(بُلُوعَ الْبَرْدِ أَقْصَاهُ)، وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ الْمُهَدَّمَةِ، مُؤَثِّرًا
(مُخْتَارًا) أَنْ يَهْلِكَهُ الْبَرْدُ، عَلَى أَنْ تُذَلَّهُ بِنْتَاهُ.

وَظَلَّ يُلَوِّحُ بِذِرَاعَيْهِ فِي الْفَضَاءِ كَأَنَّمَا يَتَوَعَّدُهُمَا، وَيُيْمِلُ رَأْسَهُ إِلَى
الْخَلْفِ، وَيَصِيحُ مُغْضَبًا حَانِقًا، حَتَّى لِيَحْسَبُ مَنْ يَرَاهُ أَنَّ بِهِ مَسًّا مِنَ
الْجُنُونِ. وَلَمْ يَبْقَ مَعَ الشَّيْخِ «لِير» - فِي مِحْنَتِهِ - غَيْرُ صَاحِبِيهِ الْمُخْلِصِينَ:
«كُنْتُ» وَ«الْبُهْلُولُ».

٢ - الْأَعَاصِيرُ وَالرُّعُودُ

وَاشْتَدَّتِ الزَّوْبَعَةُ عُنْفًا، وَتَحَدَّرَ الْمَطَرُ (سَقَطَ)، ثُمَّ هَمَى (نَزَلَ)

بِكثْرَةٍ) كَأَنَّهُ السَّيْلُ الْجَارِفُ، وَجَلَجَلَتِ الرَّعُودُ الْقَاصِفَةُ، وَدَوَّتِ
الرِّيَّاحُ الْعَاطِيَةُ (الْعَنِيفَةُ)، وَخِيَلْ إِلَى النَّاسِ أَنَّ الْبَرَائِكِينَ أَنْفَجَرَتْ، وَأَنَّ
الْكُوَاكِبَ انْتَشَرَتْ (تَسَاقَطَتْ)، وَأَنَّ الْجَحِيمَ سُعِّرَتْ (الْتَهَبَتْ).
وَبَدَا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْهَيْمُ (الْهَرْمُ)، وَقَدْ قَفَّ شَعْرُهُ (وَقَفَّ)،
وَتَقَوَّسَ ظَهْرُهُ، وَانْحَنَتْ قَامَتُهُ الْمَدِيدَةُ، بَعْدَ أَنْ أَلَحَّتْ عَلَيْهِ جَالِبَاتُ
الدَّمَارِ (مُسَبِّبَاتُ الْهَلَاكِ)، وَعَصَفَتْ بِهِ عَاصِفَاتُ الْأَقْدَارِ.

٣- نَشِيدُ الْعَاصِفَةِ

وَكَانَ الشَّيْخُ «لِير» يَصْرُخُ مُتَحَدِّيًا هَذِهِ الْقُوَى الْعَاطِيَةَ الْمُتَالِبَةَ
(الْمُتَجَمِّعَةَ) عَلَيْهِ، مُصَيِّحًا صَيِّحَاتٍ مُفْرَعَةً هَائِلَةً، وَهُوَ يَقُولُ:
«هُبِّي أَيَّتْهَا الرِّيَّاحُ الْقَاسِيَةُ الْعَنِيفَةُ الَّتِي تُهْلِكُ الْمَدَائِنَ، وَتُفْسِدُ الْأَرْضِينَ:
الْمُنْبَسِطَةَ مِنْهَا، وَالْمَمْلُوءَةَ أَحْجَارًا وَرِمَالًا، وَالَّتِي لَا زَرْعَ فِيهَا وَلَا نَبَاتَ.
ثُمَّ أَنْزِلِي مَطْرَكَ يُغَطِّي الْأَبْنِيَةَ الْعَالِيَةَ، وَيُغْرِقُ الْأَرْضِي الْمَرْزُوعَةَ».

ثُمَّ يُنْشِدُ مَتَوَعَّدًا:

«زَوَابِعَ الْأَمْطَارِ: هُبِّي مَعَ الْإِعْصَارِ
فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَاصِفَةً مِنْ نَارِ



مَرُّهُوبَةِ الدَّمَارِ تَأْتِي عَلَى الأَمْصَارِ
وَالسَّهْلِ وَالْقِفَارِ
وَأَمْطَرِي ثُلُوجًا تُجَلِّلُ البُرُوجَا
وَتُغْرِقُ المُرُوجَا.

وَتَشْتَدُّ العَاصِفَةُ هُبُوبًا، وَيَزَارُ الرَّعْدُ مُجَلِّجًا قَاصِفًا، وَيَبْرُقُ
البَّرْقُ، يَكَادُ سَنَاهُ (ضَوْءُهُ) يَخْطِفُ الأَبْصَارَ، وَيُوهِمُ مَنْ يَرَاهُ أَنَّ الكُرَّةَ
الأَرْضِيَّةَ تَهْتَرُّ مِنْ أَقْطَارِهَا (جَوَانِبِهَا)، وَأَنَّ الدُّنْيَا قَدْ زُلْزَلَتْ زِلْزَالَهَا.
فَيَسْتَدُّ صِيَاحُ الشَّيْخِ، وَهُوَ يَقُولُ:

«دَوِّي - أَيُّهَا الرِّيحُ - وَعَوِّي، وَدَمَّرِي بَيْتِي وَبَيْتِي، عَنِيتُ (قَصَدْتُ)
الدُّبَّتَيْنِ. ثُمَّ انْتَبَيْتُ (عُودِي) إِلَيَّ، فَأَمْطَرْنِي جَاحِمَكَ العَتِيَّ (نَارَكَ
المُوقَدَةَ)؛ كِفَاءَ خَيْبَتِي (عَلَى قَدْرِهِمَا)، فِي ظَنِّي الحَسَنِ بِهِمَا».
ثُمَّ أَنشَدَ:

«يَا رِيحُ: دَوِّي دَوِّي وَيَا رُغُودَ الجَوِّ:
لَا تَهْدَيْتِي، وَعَوِّي وَأَنْتَزِعِي حُنُوءِي
وَأَحْرِقِي عَدُوِّي



وَدَمَّرِي بَيْتِيَا وَأَهْلِكَ بَيْتِيَا

عَنْيْتُ: ذُبْتُيَا
ثُمَّ انْتَنِي إِلَيَا
فَأَمْطِرِي عَلَيَا
جَاحِمَكَ الْعَتِيَا
جَزَاءَ خُدَعَتَيَا
وَأَلْهَبِي جَنْبِيَا
كَفَاءَ خَيْبَتَيَا».

ثُمَّ تَعَاوَدُهُ الذُّكْرِيَاتُ الْمُؤَلِّمَةُ، وَتَتَرَدَّدُ فِي سَمْعِهِ كَلِمَاتُ بِنْتِيهِ الَّتِي كَانَتْ تُمَلِّقَانِهِ بِهَا - لِتَسْتَوَلِيَا عَلَى مُلْكِهِ - وَيُقَابِلُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ مَا رَأَهُ مِنْ غَدْرِهِمَا بِهِ، وَاسْتَهَانَتِهِمَا بِخَطَرِهِ (قَدْرِهِ وَقِيمَتِهِ)؛ فَيَسْتَأْنِفُ صِيَاحَهُ مُفْرَعًا، وَيَقُولُ مُوَلِّوًا مُرَوَّعًا:

«لَقَدْ خَدَعَنِي مَا نَمَقَّتْ (مَا زَيَّنَتْ) بِنْتَايَ مِنَ الْكَلَامِ، وَقَدْ دَهَانِي مَا دَهَانِي (أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي)، جَزَاءَ مَا صَنَعْتُ فِي الْإِنْخِدَاعِ بِهِمَا. فَيَا أَيُّهَا الرِّيَّاحُ: اشْتَدِّي حَتَّى تَنْسِفِي (تُدْمِرِي) الشَّامِخَاتِ (الْجِبَالَ الْعَالِيَةَ).
ثُمَّ أَنْشَدَ:

«لِيرُ الَّذِي أَغْرَاهُ
مَا نَمَقَّتْ بِنْتَاهُ
دَهَاهُ مَا دَهَاهُ
جَزَاءَ مَا أَمْضَاهُ
وَقَدَّمْتُ يَدَاهُ
دَوِّي رِيَا حَاقِصِفَهُ
وَأَلْهَبِيهَا عَاصِفَهُ
لِلشَّامِخَاتِ نَاسِفَهُ».

٤ - آلام الشيخ

وهكذا قضى الشيخ ليلةً مروعةً، وهو هائمٌ على وجهه، كأنه نصفٌ مجنونٍ، مما لحقه من الآلام المبرحة (المُضنية)، والأحداث الهائلة. ولقد بدّل وزيره المخلص «كنت» كل ما في وسعه، للترفيه (للتخفيف) عن مليكه، وتهوين مصابه عليه، ما وسعته حيلته. وافتنَّ «البهلؤلؤ» في ضرب الأمثال؛ ليذهله عن نكباته، وينقذه من هول الجنون الذي أوْشك أن يحلَّ به، كما توسّل إليه أن يقبل رجاءه، فيأوي معه إلى خص (بيت من الشجر) قريب، حتى تنتهي تلك العواصف الهوج (الثائرة).

وما زال به حتى أطاعه، وسار معه ميمماً (قاصداً) ذلك الكوخ، وهو يناجي نفسه مخزوناً:

«أفي هذه الليلة تطرُدني بتاي؟! أفي هذه الليلة تُعلّق دُوني أبوأبهما؟!»

واه منك يا «ريجان»، وتباً (هلاكاً) لك يا «جنريل»!

أهكذا تجزيان بالجحود أباكما الشفيق، الذي وهبكما كل ما ملك؟! إن عاصفة الجوّ - على فسوتها - لأهون من هذه العاصفة التي أترثماها في نفس أبيكما بما أسلفتما (قدمتما) إليه من جحود وعقوق!.

ولما دنوا من الخص، قال الملك «لير»:

«إِنَّ أَحْقَرَ الْأَشْيَاءِ لِيُصْبِحَ عَظِيمَ الْقَدْرِ، جَلِيلَ الْخَطَرِ، مَتَى اشْتَدَّتْ
إِلَيْهِ الْحَاجَةُ. فَلَا عَجَبَ إِذَا عَدَدْنَا (قَدَّرْنَا) الظَّفَرَ بِهَذَا الْخُصِّ غُنْمًا
كَبِيرًا، فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْهَائِلَةِ!».

5- أَنْشُودَةُ «الْبُطُولِ»

وَاسْتَمَعَ الْمَلِكُ «لَيْرٌ» إِلَى صَوْتِ مُغْنٍ يَقْتَرِبُ مِنْهُ؛ فَالْتَفَتَ، فَإِذَا بِهِ
«الْبُهْلُولُ»، يَتَظَاهَرُ بِالسُّرُورِ، وَيَتَكَلَّفُ الْمَرَحَ (شِدَّةَ الْفَرَحِ)، وَيَلْتَفِتُ
إِلَى مَوْلَاهُ مُنْشِدًا:

«قَسَمْتُ - بِالْأَمْسِ - مُلْكًا يَا «لَيْرُ»، أَظْلَمَ قِسْمَهُ!
أَقْصَيْتَ كُلَّ عَلِيمٍ جَهْلًا، وَأَنْكَرْتَ عِلْمَهُ
وَرُحْتَ تُدْنِي لَيْمًا بِالْمَدْحِ يَسْتُرُ لَوْمَهُ
يَا مُطْفِئَ النُّورِ: مَهْلًا، شَرَيْتَ بِالنُّورِ ظُلْمَهُ!».

فَقَالَ الشَّيْخُ مَذْهُوشًا:

«نَعَمْ: لَقَدْ أَقْصَيْتُ (أَبْعَدْتُ) الْعَلِيمَ، وَأَدْنَيْتُ (قَرَّبْتُ) اللَّيْمَ. لَقَدْ
أَحْسَنْتَ التَّعْيِيرَ عَمَّا كُنْتُ أَفْكُرُ فِيهِ الْآنَ، وَصَدَقْتَ فِي إِظْهَارِ مَا نَاجَيْتُ
بِهِ نَفْسِي (مَا حَدَّثْتُهَا سِرًّا) فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ. فَمَا أَبْرَعَكَ بَاكِيًا وَمُغْنِيًا،
وَمَا أَظْرَفَكَ جَادًّا وَهَازِلًا!».

فَقَالَ «الْبُهْلُولُ»:

«إِنِّي أَكْثَرُ النَّاسِ حِفْظًا لِعَهْدِكَ، وَأَخْلَصُ الْأَصْدِقَاءِ لَكَ. وَإِنِّي ذُو عَزْمٍ قَوِيٍّ، وَهَمَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَرَأْيٍ صَائِبٍ. وَلَوْ تَرَكْتَنِي أَحْكُمُ وَأُبْرِمُ (أَجْعَلُ حُكْمِي نَافِذًا)، لَقَسَمْتُ مُلْكَكَ قِسْمَةً عَادِلَةً حَكِيمَةً».

ثُمَّ اسْتَأْنَفَ «الْبُهْلُولُ» غِنَاءَهُ مُنْشِدًا:

«بُهْلُولُ»: مَجْنُونٌ «لِيرٍ»
أَبْرُّ عَهْدًا وَذِمَّةً
أَوْفَى الْأَخِلَاءِ قَلْبًا
وَأَحْسَنُ الْقَوْمِ رَأْيًا
لَوْ كَانَ مَجْنُونٌ «لِيرٍ»
يَقْضِي، وَيُبْرِمُ حُكْمَهُ
لَكَانَ أَعْدَلُ قِسْمَهُ
مِنْهُ، وَأَوْفَرَ حِكْمَهُ.

٦ - شَيْطَانُ الْغَابَةِ

وَلَمَّا بَلَغَ الْمَلِكُ وَرَفِيقَاهُ ذَلِكَ الْخُصَّ، أَسْرَعَ «الْبُهْلُولُ» إِلَى دُخُولِهِ؛ لِيُرْتَادَهُ (لِيَتَعَرَّفَهُ وَيَخْتَبِرَهُ) لِصَاحِبِيهِ. وَمَا كَادَ يَفْعَلُ حَتَّى عَادَ إِلَيْهِمَا مُسْرِعًا، وَهُوَ يَقُولُ:

«حَذَارِ أَيُّهَا الرَّفِيقَانِ، فَقَدْ رَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الْخُصِّ شَيْطَانًا مَرِيدًا (عَنِيدًا قَاسِيًا). وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ اسْمَهُ «تُوم»، وَيُلَقَّبُ نَفْسَهُ بِالْمَسْكِينِ،

ولقد رأيتُ عليه سِمةَ الخَبَالِ (عَلَامَةَ الْجُنُونِ)؛ فهو مَحْبُولٌ إِنْ كَانَ
إِنْسِيًّا (مِنَ النَّاسِ)، وَإِذَا صَدَقَ حَدْسِي (تَحْمِينِي) وَصَحَّ ظَنِّي، فَمَا
هُوَ إِلَّا شَيْطَانٌ هَذِهِ الْغَابَةِ».

فلما خَرَجَ مِنَ الْخُصِّ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ الْمِسْكِينُ، وَجَدُوهُ أَشْعَثَ
أَغْبَرَ (مُتَلَبِّدَ الشَّعْرِ، لَوْنُهُ كَلَوْنِ الْغُبَارِ)، عَارِيَ الْجِسْمِ إِلَّا مِنْ أَسْمَالٍ
بَالِيَةٍ (أَثْوَابٍ مُهْلَهَلَةٍ قَدِيمَةٍ)، تَلُوحُ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الْبُؤْسِ.

فصاح به المَلِكُ «لير»:

«مَاذَا بِكَ أَيُّهَا الشَّقِيُّ الْمِسْكِينُ؟ هَلْ طَرَدْتُكَ ابْتِنَاكَ مِنْ بَيْتِكَ بَعْدَ
أَنْ أَوْرَثْتَهُمَا إِيَّاهُ؟».

فأجاب الرَّجُلُ مُتَبَالِهًا مُتَغَابِيًا:

«أنا: «توم» الْمِسْكِينُ. فَهَلُمُّوا إِلَى بَيْتِي أَيُّهَا الرَّفَاقُ».

٧ - الْأَمِيرُ الْوَفِيُّ

وما اسْتَقَرَّ بِهِمُ الْمَقَامُ، حَتَّى رَأَوْا شَيْخًا يَجُوسُ خِلَالَ الْغَابَةِ (يَمُرُّ
فِي طُرُقَاتِهَا)، وَفِي يَدِهِ مِشْعَلٌ يُنِيرُ لَهُ طَرِيقَهُ فِي الظَّلَامِ الْحَالِكِ.

وما تَبَيَّنَ الْوَزِيرُ «كَنْتَ» ذَلِكَ الشَّيْخِ الْقَادِمِ، حَتَّى عَرَفَ أَنَّهُ الْأَمِيرُ
«جُلُستَر». فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ مَقْدَمِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْهَائِلَةِ. فَقَالَ لَهُ:



«لَقَدْ طَالَ بَحْثِي عَنِ الْمَلِكِ «لِير»؛ لِأَوِيهِ (أُضِيفَهُ) فِي بَيْتِ قَرِيبٍ
مَنْ قَصْرِي؛ حَتَّى لَا يَهْتَدِيَ إِلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِهِ (يَنْتَظِرُونَ
لَهُ الشَّرَّ). وَإِنِّي لِيَحْزُنُنِي مَا أَرَاهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمَارَاتِ الْخَبَالِ (عَلَامَاتِ
ضَعْفِ الْعَقْلِ)».

فَقَالَ لَهُ «كُنْتُ»:

«لَقَدْ أَصْبَحَ الشَّيْخُ أَقْرَبَ إِنْسَانٍ إِلَى الْجُنُونِ».

فَقَالَ الْأَمِيرُ:

«إِنَّ نِصْفَ مَا حَلَّ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ (الْمَصَائِبِ) لَيُسَلِّمُ الْعَاقِلُ إِلَى
الْجُنُونِ».

٨- فِي بَيْتِ الْأَمِيرِ

وَبَعْدَ حِوَارٍ (حَدِيثٍ) طَوِيلٍ، ذَهَبَ الْجَمِيعُ إِلَى الْبَيْتِ الرَّيْفِيِّ الَّذِي
أَعَدَّهُ الْأَمِيرُ لِسُكْنَاهُمْ قَرِيبًا مِنْ قَصْرِهِ. ثُمَّ تَرَكَهُمْ مُسْتَأْذِنًا عَلَى أَنْ
يَعُودَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ قَلِيلٍ. وَجَلَسَ «لِير» مَعَ أَصْحَابِهِ، وَقَدْ عَادَ إِلَيْهِ خَبَالُهُ
وَهَذْيَانُهُ؛ فَتَمَثَّلَ نَفْسَهُ قَاضِيًا يُحَاكِمُ بِنْتَيْهِ، وَيَجْزِيهِمَا بِمَا أَسْلَفَتْهُ
(قَدَّمَتَاهُ) إِلَيْهِ مِنْ إِسَاءَةٍ وَعَقُوقٍ.

وَمَا زَالَ يَهْذِي حَتَّى خَارَتْ قُوَاهُ، وَزَايَلَهُ رُشْدُهُ (فَارَقَهُ هُدَاهُ)،
وَأَسْلَمَهُ الضَّنَى (سُوءُ الْحَالِ) وَالضَّعْفُ إِلَى نَوْمٍ عَمِيقٍ.

الفضائل البراءة

١ - الأمير «جُلسُتر»

أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ:

لَا شَكَّ فِي أَنَّكَ تُحِبُّ أَنْ تَعْرِفَ مَنْ هُوَ الْأَمِيرُ «جُلسُتَر» الَّذِي عُنِيَ
(اهْتَمَّ) بِالْمَلِكِ «لِير»، وَبَدَّلَ لَهُ كُلَّ مَا فِي قُدْرَتِهِ مِنْ رِعَايَةٍ وَإِكْرَامٍ.
وَإِنِّي لَمُحَدِّثُكَ بِبَعْضِ حَدِيثِهِ الْمُحْزِنِ؛ لِتَعَرَّفَ مَكَانَهُ مِنْ شُخُوصِ
هَذِهِ الْقِصَّةِ الْخَالِدَةِ.

كَانَ الْأَمِيرُ «جُلسُتَر» شَدِيدَ الْوَفَاءِ لِمَلِكِهِ «لِير»، وَقَدْ حَزَنَ لِمَا
أَصَابَهُ مِنْ نَكَبَاتٍ وَأَحْدَاثٍ، وَبَكَى لِعَثْرَتِهِ (لِسَقَطَتِهِ). وَلَمْ يَكُنْ يَعْدِلُهُ
(يُسَاوِيهِ) - فِي إِخْلَاصِهِ وَوَفَائِهِ لَهُ - غَيْرُ «كَت»: الْوَزِيرِ، «وَكُرْدَلِيَا»:
صُغْرَى بِنَاتِ الْمَلِكِ «لِير».

٢ - وُلْدَا الْأَمِيرِ

وَكَانَ لِهَذَا الْأَمِيرِ الْمُخْلِصِ الْوَفِيِّ وَوَلَدَانِ، اسْمُ أَحَدِهِمَا: «إِدْجَار»
وَاسْمُ الثَّانِي: «إِدْمُنْد». فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَكَانَ مِثَالَ الْوَفَاءِ، وَأَمَّا أَخُوهُ فَكَانَ

مِثَالِ الْعُقُوقِ. وَلَمْ يَكُنِ الثَّانِي - عَلَى الْحَقِيقَةِ - وَوَلَدَ الْأَمِيرَ «جُلُسْتَرَ»؛
 وَلَكِنَّهُ كَانَ مُنْتَسِبًا إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ تَبَّأَهُ (اتَّخَذَهُ ابْنًا) - مُنْذُ نِشَاءَتِهِ - وَجَعَلَهُ
 صِنْوًا (أَخًا) لِابْنِهِ «إِدْجَارَ»، وَبَدَلَ لَهُ كُلَّ مَا يَمْلِكُ مِنْ رِعَايَةٍ وَتَهْذِيبٍ.
 فَلَمَّا كَبِرَ «إِدْمُنْدُ» نَسِيَ كُلَّ مَا حَبَّأَهُ بِهِ الْأَمِيرُ «جُلُسْتَرَ» (مَا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ)،
 وَلَمْ يَكُنْ لَهُ غَرَضٌ يَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِهِ، غَيْرَ الْوِشَايَةِ (السَّعْيِ بِالسُّوءِ)
 بِأَخِيهِ، وَإِغَارِ صَدْرِ أَبِيهِ (إِشْعَالِهِ غَيْظًا) عَلَيْهِ؛ لِيَسْتَأْثِرَ وَحَدَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

٣- فِرَارُ «إِدْجَارِ»

وَدَبَّرَ ذَلِكَ الْوَلَدُ الْغَادِرُ «إِدْمُنْدُ» مُؤَامَرَةً خَسِيسَةً لِإِقْصَاءِ صَاحِبِهِ
 (إِبْعَادِهِ) عَنْ أَبِيهِ؛ فَأَوْهَمَ الْأَمِيرَ أَنَّ وَوَلَدَهُ «إِدْجَارَ» يَأْتَمِرُ بِهِ (يُشَاوِرُ نَفْسَهُ
 فِيهِ) لِيَقْتُلَهُ؛ طَمَعًا فِي ثَرَوَتِهِ الْعَظِيمَةِ، وَمَنْصَبِهِ الْخَطِيرِ. وَمَا زَالَ يُغْرِيه
 (يُطْمِعُهُ) وَيُؤَلِّبُهُ (يُشِيرُهُ)، حَتَّى أَقْنَعَهُ بِصَدَقِ مَا افْتَرَاهُ (مَا اخْتَلَقَهُ)، بَعْدَ
 أَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابًا زَوَّرَهُ وَعَزَاهُ (نَسَبَهُ) إِلَى أَخِيهِ. وَقَدْ أَفْلَحَتْ مُؤَامَرَتُهُ
 - بَعْدَ قَلِيلٍ - فَهَرَبَ أَخُوهُ «إِدْجَارُ»، فِرَارًا مِنْ سُخْطِ أَبِيهِ الَّذِي تَوَعَّدَهُ
 بِالْقَتْلِ، دُونَ أَنْ يَعْرِفَ لِغَضَبِهِ سَبَبًا.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، تَزَيَّا «إِدْجَارُ» بِزِيِّ الْفُقَرَاءِ، وَتَظَاهَرَ بِالْبَلَهِ
 وَالْجُنُونِ، وَغَيْرِ مَنْ هَيْئَتِهِ، وَأَطْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ اسْمَ: «تُومِ الْمَسْكِينِ»،

الَّذِي قَالَ عَنْهُ «الْبُهْلُولُ»: «إِنَّهُ شَيْطَانُ الْغَابَةِ». كَمَا ذَكَرْتُهُ لَكَ، فِيمَا قَصَصْتُهُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَصْلِ السَّابِقِ.

٤- مُسْتَشَارُ الْمَمْلَكَةِ

كَانَ «إِذْمُنْد» شَدِيدَ الطَّمُوحِ (عَظِيمَ الرَّغْبَةِ فِي الْعُلُوِّ)، وَكَانَ يَجْمَعُ - إِلَى دَهَائِهِ (مَكْرِهِ) وَذَكَائِهِ - مِنْ حُبِّهِ الطَّبَعِ وَلُؤْمِ النَّفْسِ مَا لَا يَخْطُرُ لِإِنْسَانٍ عَلَى بَالٍ. وَقَدْ ابْتَهَجَ لِنَجَاحِهِ فِي مَوَازِينِ الْخَسِيسَةِ الَّتِي دَبَّرَهَا لِإِقْصَاءِ أُخِيهِ، وَأَغْرَاهُ (زَيْنَ لَهُ) ذَلِكَ الْفَوْزُ بِمُضَاعَفَةِ هِمَّتِهِ، لِتَحْقِيقِ غَايَتِهِ الْبَعِيدَةِ؛ وَهِيَ ارْتِقَاءُ الْعَرْشِ وَالظَّفَرُ (الْفَوْزُ) بِالْمُلْكِ. وَقَدْ اسْتَوْلَتْ هَذِهِ الْغَايَةُ عَلَيْهِ وَتَمَلَّكَتْ تَفْكِيرَهُ، وَامْتَزَجَتْ بِدَمِهِ، وَهَيَمَتْ (تَغَلَّبَتْ) عَلَى نَفْسِهِ؛ فَأَصْبَحَ لَا يُبَالِي بِاِقْتِرَافِ الشُّنْعِ وَالْآثَامِ (ارْتِكَابِ الْقَبَائِحِ وَالْجَرَائِمِ) فِي سَبِيلِ بُلُوغِ أُمْنِيَّتِهِ.

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَصْبَحَ مُسْتَشَارَ الْمَمْلَكَةِ كُلِّهَا، وَمَوْضِعَ ثِقَةِ الْأَخْتَيْنِ جَمِيعًا. وَثُمَّ بَدَأَ يُؤْغِرُ صَدْرَ «جُنْرِيل» وَ«رِيحَانَ» عَلَى أَبِيهِمَا. وَمَا زَالَ يَرْسُمُ لَهُمَا الْخُطَّةَ لِلْخَلَاصِ مِنْهُ، وَيُزَيِّنُ لَهُمَا ذَلِكَ، حَتَّى أَقْصَتَاهُ عَنْهُمَا، وَخَلَا الْجَوُّ لِذَلِكَ الْمُسْتَشَارِ الْمَاكِرِ الْخَبِيثِ.



٥ - الجاسوس

وَلَمْ يَقِفْ لَوْمَ طَوِيَّتِهِ (جُبْتُ نَيْتِهِ) عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ؛ فَرَّاحَ يَنْقُلُ إِلَى بِنْتِي «لِير» أَخْبَارَ الْأَمِيرِ «جُلُسْتَر»، الَّذِي تَبَنَاهُ وَتَعَهَّدَهُ مِنْذُ نَشَاءَتِهِ، وَرَبَّاهُ فِي حِدَائْتِهِ. وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ الْأَمِيرِ أَنَّ «إِذْمُنْد» - أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَالصَّقَهُمْ بِهِ - يَتَجَسَّسُ أَخْبَارَهُ، وَيُحْصِي (يَعُدُّ) عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ، لِيُبلِّغَهَا أَعْدَاءَهُ.

وَقَدْ عَرَفَ «إِذْمُنْد» - مِنْ مُحَادَثَةِ الْأَمِيرِ - أَنَّهُ يَعْتَرِزُ الْعَوْدَةَ إِلَى الْمَلِكِ «لِير»؛ لِيُبَصِّرَ رَفِيقَهُ «كَنت» بِمَا يَتَهَدَّدُ مَلِيكَهُ مِنْ أخطارٍ، وَيُوصِيَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى «دُوفَر»، حَيْثُ تُقِيمُ «كُرْدَلِيَا»: صُغْرَى بَنَاتِ «لِير»؛ لِيُفْضِيَ إِلَيْهَا (لِيُخْبِرَهَا) بِمَا لَقِيَهُ أَبُوهَا، وَبِمَا لَا يَزَالُ يَلْقَاهُ، مِنْ أَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ.

٦ - نصيحة الأمير

وَلَمَّا خَرَجَ الْأَمِيرُ «جُلُسْتَر» مِنْ قَصْرِهِ، عَائِدًا إِلَى «الدَّسْكَرَةِ» (الْقَرْيَةِ) الَّتِي أودَعَ فِيهَا «لِير» وَأَصْحَابَهُ، أَفْضَى إِلَيْهِمْ بِمَا يُساورُهُ مِنْ قَلْقٍ عَلَى حَيَاةِ الْمَلِكِ. وَأَلَحَّ عَلَى الشَّيْخِ «لِير» فِي أَنْ يُسَافِرَ إِلَى «دُوفَر»؛ حَيْثُ يَلْقَى - مِنْ رِعَايَةِ بِنْتِهِ الْبَارَّةِ «كُرْدَلِيَا» وَعِنَايَتِهَا - مَا هُوَ

خَلِيقٌ (جَدِيرٌ) بِهِ. وَزَوَّدَهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَالِ. وَقَدْ أَدْرَكَ الْوَزِيرُ
«كُنْتُ» مَا يَتَهَدَّدُ «لِير» مِنَ الْأَخْطَارِ؛ فَأَسْرَعَ إِلَى تَنْفِيدِ مَا أَوْصَاهُ بِهِ
الْأَمِيرُ «جُلُسْتَر» قَبْلَ فَوَاتِ الْفُرْصَةِ.

٧- نَكْبَةُ الْأَمِيرِ

وَمَا عَادَ الْأَمِيرُ «جُلُسْتَر» إِلَى قَصْرِهِ، حَتَّى قَبَضَتْ عَلَيْهِ «رِيحَانُ»
وَزَوْجُهَا وَ«جُنْرِيْلُ» أُخْتُهَا، بَعْدَ أَنْ عَرَفُوا مِنْ «إِذْمُنْدَ» الْخَبِيثِ، كُلَّ
مَا أَسَدَاهُ (قَدَّمَهُ) الْأَمِيرُ إِلَى الْمَلِكِ «لِير» مِنْ صَنِيعٍ مَشْكُورٍ.
وَاشْتَدَّ غَضَبُهُمْ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَرِيمِ؛ فَأَوْثَقُوا كِتَافَهُ، وَصَفَّدُوهُ
(وَضَعُوهُ فِي الْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ). وَتَمَادَوْا فِي الْإِسَاءَةِ وَالتَّنْكِيلِ بِهِ
(تَعْذِيْبِهِ) وَشَتَمِهِ، ثُمَّ نَتَفَّوْا شَعْرَاتٍ مِنْ لِحْيَتِهِ. فَلَمَّا غَضِبَ وَثَارَ
لِكِرَامَتِهِ، وَذَكَرَهُمْ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ مِنَ الرَّعَايَةِ، زَادَتْ نِقْمَتُهُمْ عَلَيْهِ.
فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ زَوْجُ «رِيحَانِ»، وَأَخْرَجَ عَيْنِيْهِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى؛ فَصَرَخَ
الْأَمِيرُ مُغَوِّثًا (مُسْتَعِيْنًا)، بَعْدَ أَنْ عَمِيَتْ عَيْنَاهُ. فَتَحَمَّسَ لِنُصْرَتِهِ أَحَدُ
خَدَمِهِ، وَطَعَنَ الْجَانِيَّ الْأَثِيمَ طَعْنَةً قَاتِلَةً؛ أَنْتَصَرَ الْمَوْلَاهُ، وَانْتَقَامًا
لَهُ مِنْ أَعْمَاهُ. وَقَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ (مَاتَ) ذَلِكَ الْخَادِمُ الشَّهْمُ فِي سَبِيلِ
الْوَاجِبِ النَّبِيلِ.

أَمَّا الْأَمِيرُ «جُلُوسْتَر»، فَقَدِ الْقَوَائِمَ خَارِجَ الْقَصْرِ، دُونَ أَنْ تُدْرِكَهُمْ
شَفَقَةً بِهِ، وَلَا رَحْمَةً عَلَيْهِ.

٨- الزَّارِعُ وَالْأَمِيرُ

وَيَمْشِي الْأَمِيرُ خُطُوبَاتٍ قَلِيلَةً عَلَى غَيْرِ هُدًى، فَيَلْقَاهُ شَيْخٌ فِي الثَّمَانِينَ
مِنْ عُمُرِهِ؛ فَيَسْأَلُهُ الشَّيْخُ مَحْزُونًا عَمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ. فَيَرِجُوهُ
الْأَمِيرُ أَنْ يَتَعَدَّ عَنْهُ حَتَّى لَا يُصِيبَهُ مِنْ أَجَلِهِ سُوءٌ، فَيَقُولُ لَهُ الشَّيْخُ:
«أَحِبُّ بِكُلِّ مَا أَلْقَاهُ مِنْ أَدَى وَضُرِّ فِي سَبِيلِكَ؛ فَقَدْ نَشَأْتُ فِي
نِعْمَتِكَ، وَعَشْتُ مِنْ غَلَّةِ الْأَرْضِ الَّتِي اسْتَأْجَرْتُهَا مِنْكَ وَمِنْ أَبِيكَ.
وَلَنْ أَتُرِكَ وَحِيدًا، بَعْدَ أَنْ فَقَدْتَ نُورَ عَيْنَيْكَ، وَعَجَزْتَ عَنْ تَعْرِفِ
الطَّرِيقِ».

فَقَالَ لَهُ «جُلُوسْتَر»:

«لَقَدْ تَعَثَّرْتُ فِي طَرِيقِي حِينَ كُنْتُ أَبْصِرُ، وَأَخْطَأْتُ فِي الْحُكْمِ عَلَى
مَا رَأَيْتُ، وَلَمْ تَعَصِمْنِي (لَمْ تَحْفَظْنِي) عَيْنَايَ مِنَ الْخَطَا. فَلَعَلِّي أَعُودُ
إِلَى الصَّوَابِ وَأَنَا أَعْمَى، فَلَا أَتَسْرَعُ فِي الْحُكْمِ عَلَى مَا يُحِيطُ بِي مِنَ
الْأَشْيَاءِ».

٩ - الأميرُ والمجنونُ

ولقيهما في طريقهما «ثوم المسكين»، وهو يتظاهر بالجنون كعادته. ولعلك الآن قد عرفتُه، بعد أن أسلفت لك القول: إنه «إدجار» ولد الأمير، الذي وصى به أخوه «إدمند».

ورأى الولد البر الوفي ما أصاب والده من النكبات؛ ففاض قلبه لوعةً (حزقة) وحزنًا. ولكنه أثار (فضل) التجلد والصبر؛ حتى لا يفتن أبوه إلى حقيقة أمره فتتكشف حيلته.

وقد أوح الأمير على الشيخ الزارع أن يسلمه إلى ذلك المسكين. فقال له الشيخ:

«وكيف أسلمك إلى مجنون؟!».

فأجابه الأمير:

«لقد أصبح من كنا نحسبهم عقلاء، خادعين مُضللين في هذه الأيام السود. ولعلي أجد في هدي (في رأي) من نحسبهم مجانين خيرًا مما وجدته في هدي أولئك المتظاهرين بالتعقل والحكمة. فإذا شئت أن تسدي إليّ جميلًا (تصنع معي معروفًا)، فأحضر ثيابًا لتكسو بها ذلك العاري المسكين».

فَقَالَ لَهُ الزَّارِعُ:

«سَأُحْضِرُ لَهُ خَيْرَ مَا عِنْدِي مِنَ الثِّيَابِ».

١٠ - حوارُ الأميرِ ووَلَدِهِ

وَسَارَ الْأَمِيرُ مَعَ وَلَدِهِ «إِدْجَارَ»، الَّذِي كَانَ لَا يَزَالُ يَتَظَاهَرُ أَمَامَ أَبِيهِ
بَأَنَّهُ مَجْنُونٌ؛ حَتَّى لَا يَفْطِنَ إِلَى حَقِيقَتِهِ. وَسَأَلَهُ الْأَمِيرُ:

«أَتَعْرِفُ الطَّرِيقَ - يَا فَتَى - إِلَى «دُوفِر»؟».

فَقَالَ لَهُ:

«أَعْرِفُ كُلَّ خَافِيَةٍ مِنْ خَوَافِيهَا، وَلَا أَجْهَلُ شَيْئًا مِنْ مَعَالِمِهَا

وَمَجَاهِلِهَا».

فَقَالَ لَهُ:

«بِرَبِّكَ: سِرْ مَعِي حَتَّى تَبْلُغَ بِي الصَّخْرَةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي تُشْرِفُ (تُطَلُّ)
عَلَى الْبَحْرِ مِنْ قِمَّةِ الْجَبَلِ؛ لِأَلْقِي بِنَفْسِي مِنْ ذَلِكَ الْعُلُوِّ الشَّاهِقِ؛
فَأَخْلُصَ مِمَّا أَكْبَدُهُ مِنَ الْأَلَامِ الْمُبْرِّحَةِ (الْمُوجِعَةِ). وَخُذْ هَذَا الْكَيْسَ
بِمَا فِيهِ مِنْ مَالٍ، مُكَافَأَةً لَكَ عَلَى ذَلِكَ».

فَتَظَاهَرَ وَلَدُهُ بِطَاعَتِهِ، وَمَا زَالَ يَمْشِي مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ بِهِ صَخْرَةً قَلِيلَةً

الْأَرْتِفَاعِ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ. فَقَالَ لَهُ:



«ما أَبْعَدَ هَذِهِ الْقِمَّةَ الشَّاهِقَةَ عَنْ سَطْحِ الْبَحْرِ! إِنِّي لَأَرَى أَحَدَ الصَّيَّادِينَ وَهُوَ واقِفٌ عَلَى الشَّاطِئِ؛ فَيُخَيِّلُ إِلَيَّ - مِنْ فَرْطِ الْعُلُوِّ - أَنَّهُ فَأْرَةٌ صَغِيرَةٌ، وَأَرَى الْمَرَائِبَ الْكَبِيرَةَ؛ فَلَا أَكَادُ أُتَبِّينُ رَسْمَهَا، لَفَرْطِ ضَالَاتِهَا (شِدَّةِ صِغَرِهَا)، وَحَقَّارَةَ أَحْجَامِهَا! هَلُمَّ - يَا سَيِّدِي - فَاقْفُزْ كَمَا تُرِيدُ!».

وَلَقَدْ خَيَّلَ إِلَى الْأَمِيرِ أَنَّ مُحَدِّثَهُ صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ؛ فَفَقَزَ مِنَ الصَّخْرَةِ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ، دُونَ أَنْ يُصِيبَهُ سُوءٌ.
وَأَقْبَلَ وَلَدُهُ «إِدْجَارُ» وَقَدْ غَيَّرَ مِنْ صَوْتِهِ مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ شَخْصٌ آخَرُ؛ فَقَالَ لَهُ:

«كَيْفَ هَوَيْتَ - يَا عَمَّ - مِنْ ذَلِكَ الارتفاعِ الشَّاهِقِ، دُونَ أَنْ يُدَقَّ عُنُقُكَ (تَنْكِسِرَ رَقَبَتُكَ)، وَتُسْحَقَ عِظَامُكَ؟».

فَعَجِبَ الْأَمِيرُ مِمَّا سَمِعَ، وَقَالَ لَهُ:

«مِنْ أَيِّ ارتفاعٍ هَوَيْتُ (سَقَطْتُ)؟».

فَأَجَابَهُ «إِدْجَارُ» مُتَظَاهِرًا بِالدهْشَةِ وَالْعَجَبِ:

«أَلَا تَعْرِفُ مَدَى الهَوَّةِ السَّحِيقَةِ (مِقْدَارَ الحُفْرَةِ العميقة) الَّتِي

تَرَدَّيْتُ (سَقَطْتُ) فِيهَا؟! لَقَدْ رَأَيْتُكَ - مِنْذُ لِحْظَةٍ يَسِيرَةٍ - وَأَنْتَ فِي

عَالِيَةِ هَذَا الْجَبَلِ الشَّاهِقِ، وَمَعَكَ مَخْلُوقٌ عَجِيبٌ، تَبْدُو عَيْنَاهُ كَأَنَّهَا

- لَشِدَّةِ اتِّسَاعِهَا - قَمْرَانِ مُسْتَدِيرَانِ، وَقَدْ خَيَّلَ إِلَيَّ أَنَّ لَهُ أَلْفَ وَجْهِ.

وما أشك في أنه شيطانٌ مرِيدٌ (خَبِيثٌ). فلتَهْنَأُ بِنَجَاتِكَ مِنْهُ، ولتَفْرَحْ
بما ظَفَرْتَ به مِنَ السَّلَامَةِ؛ فما أشك في أنَّ العِنَايَةَ الإِلَهِيَّةَ تَصْحَبُكَ
وتَحْرُسُكَ».

١١ - في الحُقُولِ

وإنَّهُمَا لَيَسِيرَانِ فِي الحُقُولِ، إِذْ لَقِيَهُمَا المَلِكُ «لِيرٌ» وَقَدْ عَقَدَ عَلَي
رَأْسِهِ تَاجًا مِنَ الأزْهَارِ البَرِّيَّةِ. فلَمَّا حَيَّاهُ «إِدْجَارُ»، أَنشَأَ «لِيرٌ» يَهْدِي
وَيُجَمِّعُ أَلْفَاظًا لَا مَعْنَى لَهَا. فَعَرَفَهُ الأَمِيرُ «جُلُسْتَرٌ» - حِينَ سَمِعَ
صَوْتَهُ - وَسَأَلَهُ قَائِلًا:

«تَرَى مَنْ أَرَى؟ أَلَسْتَ المَلِكِ «لِيرٌ»؟».

فَأَجَابَهُ:

«إِنَّ كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِي (كُلُّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِي)، وَكُلُّ شَعْرَةٍ
مِنْ شَعْرَاتِ جِسْمِي، لَتَنْطِقُ صَارِخَةً مُحَدِّثَةً: أَنَّنِي المَلِكُ «لِيرٌ». أَمَّا
أَنْتَ، فَمَا أَظُنُّكَ إِلَّا بِنْتِي «جُنْرِيَلٌ»، بَرَعِمَ هَذِهِ اللِّحْيَةِ البَيْضَاءِ!».
ثُمَّ اسْتَوَلَى الخَبَالُ وَالْهَدْيَانُ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى. فَحَزِنَ الأَمِيرُ لِمَا
حَدَّثَ، وَهَانَ عَلَيْهِ مَا حَلَّ بِهِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ، بَعْدَ أَنْ رَأَى مَا
بَلَغَهُ المَلِكُ «لِيرٌ» مِنْ سُوءِ المَالِ (العَاقِبَةِ).



١٢ - عَوْدَةُ الْمُخْلِصَةِ

هَدَّاتِ الْعَوَاصِفُ الثَّائِرَةُ، وَسَكَنَتِ الرُّعُودُ الْمُدَوِّيَّةُ، وَتَقَشَّعَتِ
(زَالَتْ) السُّحُبُ الْمُتَلَبِّدَةُ، وَظَهَرَتِ السَّمَاءُ صَافِيَةً بَعْدَ أَنْ حَجَبَتْهَا
الْغُيُومُ. وَعَادَتِ الْبِنْتُ الْوَفِيَّةُ «كُرْدَلِيَا» فِي جَيْشِهَا الْعَظِيمِ؛ لِتُنْقِذَ أَبَاهَا
مِمَّا يُعَانِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْكَوَارِثِ. وَكَانَتْ قَدْ عَلِمَتْ مِنَ الْوَزِيرِ
الْمُخْلِصِ «كَنْت» مَا عَانَاهُ الشَّيْخُ «لِير» مِنَ الْخُطُوبِ وَالْمِحَنِ.
فَأَخْبَرَتْ زَوْجَهَا مَلِكَ «فَرْنَسَا» بِتِلْكَ الْقِصَّةِ الْمُفْزَعَةِ؛ فَلَمْ يَتَرَدَّدْ فِي
إِعْدَادِ جَيْشٍ كَبِيرٍ لِتَأْدِيبِ أُخْتَيْهَا الْغَادِرَتَيْنِ، وَالتَّنْكِيلِ بِهِمَا (جَعَلَهُمَا
نَكَالًا وَعِبرَةً)؛ جَزَاءً مَا أَسْلَفْتَاهُ إِلَى أَبِيهِمَا «لِير» مِنْ إِسَاءَةٍ وَجُحُودٍ.
وَمَا كَانَ أَسْرَعَ «كُرْدَلِيَا» صُغْرَى الْبَنَاتِ، وَأَوْفَاهُنَّ عَهْدًا، وَأَكْرَمَهُنَّ
نَفْسًا، إِلَى نَجْدَةِ أَبِيهَا؛ فَقَدْ غَادَرَتْ «دوفر» - مِنْ فُورِهَا - وَمَا زَالَتْ
تَجِدُّ فِي سَيْرِهَا، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى أَبِيهَا، وَهِيَ أَشْوَقُ مَا تَكُونُ إِلَى لِقَائِهِ،
وَلِثَمِ يَدَيْهِ (تَقْبِيلِهِمَا)، وَالِاعْتِذَارِ لَهُ مِمَّا كَابَدَهُ (قَاسَاهُ) مِنْ عُقُوقِ بَنْتَيْهِ،
وَمَا لَقِيَهُ عَلَى أَيْدِيهِمَا مِنْ إِذْلَالٍ وَهَوَانٍ.

١٣ - نَصِيحَةُ الطَّيِّبِ

وما وَصَلَتْ إِلَيْهِ، حَتَّى وَجَدْتُهُ مُسْتَعْرِقًا فِي سُبَاتٍ (نَوْمٍ) عَمِيقٍ.
فَقَالَ لَهَا الطَّيِّبُ:

«أَتَأْمُرِينَ - يَا مَوْلَاتِي - أَنْ أَنْبَهُهُ؟»
فَقَالَتْ لَهُ:

«لَيْسَ لِي أَنْ أَمْرَ بِمَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ. فَافْعَلْ مَا يُؤَدِّعُ إِلَيْكَ طِبُّكَ،
وَنَفِّذْ مَا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ خِبْرَتُكَ وَتَجَارِبُكَ».
فَقَالَ الطَّيِّبُ:

«أَرَى أَنْ نُوقِظَهُ عَلَى عَزْفِ الْمُوسِيقَى، بَعْدَ أَنْ نَكْسُوهُ حُلَّةً جَدِيدَةً
(ثَوْبًا لَمْ يُلْبَسْ). وَمَتَى اسْتَيْقَظَ عَلَى الْأَلْحَانِ الْمُشْجِيَةِ (الْمُطْرِبَةِ)، كُنْتُ
أَوَّلَ مَنْ يَرَاهُ؛ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ رُشْدُهُ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يُفَارِقَهُ. وَإِنَّ
فِي مُحَادَثَةِ جَلَالَتِكَ إِيَّاهُ لَدَوَاءً أَنْجَعَ (أَشْفَى) لَهُ مِنْ كُلِّ دَوَاءٍ».

١٤ - مُنَاجَاةُ «كُرْدَلِيَا»

فَقَالَتْ «كُرْدَلِيَا»:

«اصْنَعْ - لِشِفَائِهِ - مَا تَشَاءُ، وَابْذُلْ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مَا تَسْتَطِيعُ بِلَا إِبْطَاءٍ».



ولمَّا عَزَفَتِ الْمَوْسِيقَى، دَبَّتِ الْيَقْظَةُ فِي نَفْسِ الْمَلِكِ شَيْئًا فَشَيْئًا،
حَتَّى أَفَاقَ مِمَّا غَشِيَهُ (مِمَّا أَصَابَهُ)، وَاسْتَيْقَظَ مِنْ سُبَاتِهِ الْعَمِيقِ.
وَكَانَتْ «كُرْدَلِيَا» شَدِيدَةَ اللَّوْعَةِ لِمَا أَصَابَ وَالِدَهَا الْكَرِيمَ مِنْ هَوْلِ
تِلْكَ الْعَاصِفَةِ الْهُوجَاءِ الَّتِي أَضْعَفَتْ جِسْمَهُ، وَأَرْهَقَتْ (أَتَعَبَتْ)،
أَعْصَابَهُ، فَوَقَفَتْ تَتَأَمَّلُ وَجْهَهُ الْحَزِينِ، وَتُنَاجِيهِ مُلْتَاعَةً (مُتَأَلِّمَةً)،
وَهِيَ تَقُولُ:

«أَهْكَذَا تَجْزِيكَ بِالْعُقُوقِ وَالْغَدْرِ بِنْتَاكَ، جَزَاءَ مَا أَسْلَفْتَ إِلَيْهِمَا
بِالْخَيْرِ يَدَاكَ؟! أَهْكَذَا تَبْلُغُ قَسْوَةَ الْقَلْبِ مِنْهُمَا أَنْ تُسَلِمَاكَ إِلَى الرِّيحِ
الْعَاطِيَةِ، وَالرُّعُودِ الْمُدَوِّيَةِ؟!».

ثُمَّ أَنْعَمَتِ النَّظَرَ فِي وَجْهِ الشَّيْخِ، وَقَدِ اشْتَدَّتْ لَوْعَتُهَا وَحُزْنُهَا، فَقَالَتْ:
«كَيْفَ رَضِيْنَا لِهَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَهْوَالِ الْعَوَاصِفِ الْهُوجِ،
وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ غِطَاءٍ يَقِيهِ غَائِلَةَ الْبَرْدِ (شِدَّتَهُ) غَيْرُ تِلْكَ الشَّعْرَاتِ
الْمُبْيِضَةِ الرَّقِيقَةِ؟! شَدَّ مَا كَابَدَتْ - يَا أَبَتِ - مِنْ الْهَوْلِ وَالضَّنَى
(الْمَرَضِ). وَشَدَّ مَا أَسَأْتَمَا، أَيَّتْهَا الشَّقِيقَتَانِ!

أَمَا لَوْ أَنْ لِي عَدُوًّا لِدُودًا أَعْرَى بِأَيْدَائِي كَلْبًا ضَارِيًا حَقُودًا، فَعَضَّنِي
دُونَ أَنْ أَسْلِفَ إِلَيْهِ إِسَاءَةً، ثُمَّ لَقِيتُ الْكَلْبَ الشَّرِسَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ
اللَّيْلَاءِ (الشَّدِيدَةِ الظُّلْمَةِ)، وَقَدْ نَبَذَ بِالْعَرَاءِ (الأَرْضِ الْخَالِيَةِ)؛ لِأَوْيْتِهِ
فِي بَيْتِي وَأَدْفَأْتِهِ، مُتَنَاسِيَةً كُلَّ مَا أَسْلَفَ إِلَيَّ مِنْ أذِيَّةٍ وَإِيْلَامٍ.

فَكَيْفَ بِمَنْ وَهَبَ لَكُمْ مَلِكَهُ الْعَظِيمَ، وَتَفَنَّنَ فِي بَرِّكُمْ، وَلَمْ يَدَّخِرْ
أَيَّ وَسِيلَةٍ فِي سَبِيلِ إِسْعَادِكُمْ! أَهَكَذَا تَجْزِيَانِهِ؟!
أَيْنَ أَلْفَاظِكُمْ الْعَذْبَةَ الْخَادِعَةَ الَّتِي كُنْتُمْ تُمَلِّقَانِهِ بِهَا يَوْمَ دَعَاكُمْ
لَا قِسَامَ مُلْكِهِ؟!

لَقَدْ تَمَثَّلْتُ (تَخَيَّلْتُ) مِنْ فُنُونِ غَدْرِكُمْ صُورًا وَأَلْوَانًا لَا تُخْصِي،
وَلَكِنَّ مَا تَكْشِفَ لِي مِنْ ضُرُوبِ الْقَسْوَةِ وَفُنُونِ الطَّمَعِ - مِنْكُمْ - قَدْ
فَاقَ جَمِيعَ مَا تَمَثَّلْتُهُ، وَأَرْبَى (زَادَ) عَلَى كُلِّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ خَيَالِي مِنْ
أَفَانِينَ الْعُقُوقِ وَالْإِسَاءَةِ (أَصْنَفِيهِمَا).

١٥ - يَقْطَةُ الشَّيْخِ

وَأَفَاقَ الشَّيْخِ «لِير» مِنْ سُبَاتِهِ الْعَمِيقِ، فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ بِنْتُهُ الْوَفِيَّةُ
«كُرْدَلِيَا» تُحْيِيهِ قَائِلَةً:

«كَيْفَ أَصْبَحْتَ، يَا صَاحِبَ الْجَلَالَةِ؟».

فَبَدَّتِ الدَّهْشَةَ عَلَى وَجْهِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْ: أَيْ حُلْمٍ هُوَ أَمْ فِي يَقْطَةٍ؟!
ثُمَّ قَالَ مُتَحِيرًا:

«لِمَاذَا بَعَثْتُمُونِي مِنَ الْمَوْتِ؟ وَلِمَاذَا أَخْرَجْتُمُونِي مِنْ ظِلْمَةِ الْقَبْرِ
بعد أن أَرَا حِنِي الْمَوْتِ مِنْ كَوَارِثِ الزَّمَنِ وَمَصَائِبِ الْحَيَاةِ؟».

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى «كُرْدَلِيَا» مَذْهُولًا، وَقَالَ:
«وَأَنْتَ أَيُّهَا الرُّوحُ الْمَلَائِكِيُّ الْحَنُونُ، خَبَّرْنِي: مِنْ أَيِّ مَكَانٍ مِنْ عُلْيَا
السَّمَاوَاتِ نَزَلْتَ؟ وَكَيْفَ حَلَلْتَ هَذَا الْوَادِيَّ؟ وَلَايِي غَايَةَ جُنْتُ؟»
فَقَالَتْ «كُرْدَلِيَا»:

«هَلْ عَرَفْتَنِي، يَا مَوْلَايَ؟».

فَأَجَابَهَا:

«أَنْتَ - بِلا شك - أَكْرَمُ رُوحٍ مَلَائِكِيٍّ رَأَيْتُهُ فِي حَيَاتِي. فَخَبَّرْنِي بِرَبِّكَ
- أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّاهِرُ - فِي أَيِّ وَقْتٍ حَلَّتْ بِكَ الْوَفَاةُ؟».

١٦ - حِوَارُهُ مَعَ «كُرْدَلِيَا»

فَلَمْ تَيَأَسَ «كُرْدَلِيَا» مِنْ شِفَائِهِ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ تُوَسِّسِيهِ وَتُلَاطِفُهُ،
وَتَطَلَّبُ إِلَيْهِ أَنْ يَهْدِيَّ مِنْ سَوْرَةِ نَفْسِهِ الْمَحْزُونَةِ. فَقَالَ مَذْهُوشًا:
«حَسْبُكَ أَيُّهَا الرُّوحُ الْمَلَائِكِيُّ، حَسْبُكَ (كَفَاكَ)! فَمَا أَذْرِي - مِمَّا
يُحِيطُ بِي مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ - شَيْئًا، وَمَا أَعْرِفُ أَيَّ ثَوْبٍ هَذَا الَّذِي
أَرْتَدِيهِ؟ وَلَا أَذْرِي مَنْ الَّذِي أَلْبَسْنِيهِ؟ وَلَوْ سَأَلْتُمُونِي - فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ -
فِي أَيِّ مَكَانٍ أَنَا؟ لَمَا عَرَفْتُ لِسُؤَالِكُمْ جَوَابًا!



صَدَّقْ - أَيُّهَا الرُّوحُ الْكَرِيمُ - أَنَّنِي لَا أَعْرِفُ كَيْفَ قَضَيْتُ يَوْمَ أَمْسٍ!
وَلَا أَدْرِي: أَنَأَيْمُ أَنَا أَمْ يَقْطَانُ؟ ثُمَّ لَا أَدْرِي أَحْيَى أَنَا أَمْ مَيِّتٌ؟ وَلَوْ طَاوَعْتُ
نَفْسِي، وَأَفْضَيْتُ بِمَا أُضْمِرُهُ، لَحَسِبْتُمُونِي مَخْبُولًا أَوْ مَعْتُوهُمَا!

إِنِّي لِأَتَمَثَّلُ فِي هَذَا الرُّوحِ الْمَلَائِكِيِّ صُورَةَ بِنْتِي الْوَفِيَّةِ «كُرْدَلِيَا»
فَلَا يَسْخَرَنَّ مِنْ هَذَا الْوَهْمِ أَحَدٌ؛ فَإِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّنِي لَا أَزَالُ عَلَى قَيْدِ
الْحَيَاةِ، كَمَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الرُّوحَ الْمَائِلَ أَمَامِي هُوَ «كُرْدَلِيَا» بِنْتِي». .
فَقَالَتْ «كُرْدَلِيَا» بَاكِئَةً:

«مَا أَصْدَقَ فِرَاسَتَكَ (إِصَابَةَ ظَنِّكَ)، وَأَصَحَّ رَأْيَكَ، أَيُّهَا الْوَالِدُ
الْكَرِيمُ!». .

فَقَالَ لَهَا مُتَأَلِّمًا:

«لِمَاذَا تَبْكِينَ، أَيُّهَا الْبَارَةُ الْمُحْسِنَةُ؟ أَأَنْتِ تَحْزَنِينَ لِمَا أَصَابَنِي بَعْدَ
أَنْ أَسْلَفْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْإِسَاءَةِ مَا أَسْلَفْتُ؟

أَكْذَلِكَ تَجْزِينِي إِحْسَانًا بِإِسَاءَةٍ، عَلَى حِينٍ قَدْ جَزَيْتَنِي أُخْتَاكِ إِسَاءَةً
بِإِحْسَانٍ؟

أَمَا لَوْ أَنَّكَ أَنْكَرْتَنِي - كَمَا أَنْكَرْتَنِي أُخْتَاكِ - لَكُنْتِ فِي سَعَةٍ مِنَ الْعُذْرِ». .
فَقَالَتْ لَهُ:

«بِرَبِّكَ لَا تَسْتَسَلِمَ لِأَحْزَانِكَ - يَا أَبَتِ - فَإِنَّ ذَلِكَ يَمْلَأُ نَفْسِي هَمًّا
وَلَوْعَةً. هَلُمَّ يَا أَبَتِ، فَلَنْ تَرَى إِلَّا مَا يَسُرُّكَ».

١٧ - اغتدأر النَادِمِ

فَقَالَ لَهَا:

«لقد أسأتُ إليك أبلغَ إساءةٍ، وما أجدُني أن أطلبَ إليك الصَّفْحَ والغُفْرانَ (المُسَامَحَةَ والمَغْفِرَةَ). فَتَجَاوَزِي (اصْفَحِي) - أَيْتُهَا الكَرِيمَةَ - عَمَّا قَدَّمْتُ يَدَايَ».

فَقَالَتْ لَهُ:

«إِنِّي بِنْتُكَ الْمُؤْتَمِرَةُ بِأَمْرِكَ، الْمُملِيبَةُ لِإِشَارَتِكَ، فلا يَحْزُنُكَ شَيْءٌ بعدَ اليَوْمِ. أمَّا أنا فليستُ إِلَّا خَادِمَةً وَفِيَّ لَكَ مَدَى الحَيَاةِ». وَثُمَّ أَدْرَكَ المَلِكُ «لير» - نَيْشًا (بَعْدَ فَوَاتِ الوَقْتِ) - مِقْدَارَ وَفَاءِ بِنْتِهِ «كُرْدِلِيَا»، وَعَرَفَ مَدَى خَطِيئِهِ حِينَ صَدَّقَ ما كانتُ تُزَوِّرُهُ بِنْتَاهُ، مِنْ كاذِبِ اللَّفْظِ، وَخاتِلِ الثَّنَاءِ (خَادِعِ المَدْحِ).



الفصل الجامع

١ - هزيمة «كردليا»

ما كان ليدور بخلد الملك «لير» - حين أصغى إلى تمليق بنتيه الخادعتين، وعق نصيحة وزيره المخلص «كنت» - أن أحداث الدهر ومصائبه ستجتمع متوالية متألبة عليه، للتكيل به، مسرفة في معاقبته على خطئه؛ فلا تلوح بارقة (نور) من الأمل، حتى يعقبها ليل داج (شديد السواد) من اليأس المميت!

لقد التقى الجيشان، وكان الأمل معقودا على نصرة «كردليا»، وهزيمة جيش أختيها الغادرتين واندحاره (انكساره). ولكن سوء حظ الشيخ «لير» قد خيب هذا الأمل الباسم المشرق؛ فانهزم جيش «كردليا» أشنع هزيمة، وانتصر عليه جيش «جنريل» و«ريجان» وانتهت المعركة بأسر «كردليا» وأبيها، وإيداعهما السجن بعد أن غلب جيشهما على أمره.

٢ - الْخُبَاءُ الثَّلَاثَةُ

تَمَّ الْفَوْزُ لِلْخُبَاءِ الثَّلَاثَةِ، أَعْنِي: «جُنْرِيْل» و«رِيْجَان» وَمُسْتَشَارَهُمَا «إِدْمُنْد»، الَّذِي قَادَ الْجَيْشَ وَأَحْرَزَ النَّصْرَ؛ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَوْزُ شَرًّا - عَلَى أَوْلِيَّكَ الْغَادِرِينَ - مِنْ كُلِّ هَزِيمَةٍ! وَسَتَرَى - أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيْزُ - فِيمَا بَقِيَ مِنْ حَوَادِثِ الْقِصَّةِ الْمُحْزِنَةِ وَأَنْبَاءِهَا الرَّاعِبَةِ (الْمُخِيفَةِ)، مِصْدَاقَ مَا حَدَّثْتُكَ بِهِ (بُرْهَانَ صِدْقِهِ)!

٣ - بَيْنَ «الْبَانِي» وَ «إِدْمُنْد»

لَقَدْ حَسِبَ «إِدْمُنْد» - حِينَ تَمَّ لَهُ الْفَوْزُ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ الْحَاسِمَةِ (الْقَاطِعَةِ) - أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ أَرْبَهُ (مَطْمَعَهُ)، وَظَفَرَ بِأُمْنِيَّتِهِ فِي ارْتِقَاءِ عَرْشِ الْمَمْلَكَةِ، بَعْدَ أَنْ خَلَا الْجَوُّ مِنْ كُلِّ مُنَافِسٍ لَهُ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَبْقَ أَمَامَهُ أَحَدٌ يَخْشَى بِأَسْهُ غَيْرِ الْأَمِيرِ «الْبَانِي» زَوْجَ «جُنْرِيْل». وَكَانَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ طَيِّبَ الْقَلْبِ؛ فَلَمْ يَرْضَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا اقْتَرَفَهُ (ارْتَكَبَهُ) الْخُبَاءُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْأَوْزَارِ وَالْآثَامِ (الدُّنُوبِ وَالْجَرَائِمِ). وَأَصَرَ الْأَمِيرُ «الْبَانِي» عَلَى إِطْلَاقِ سَرَّاحِ «كُرْدِيَا» وَأَبِيهَا مِنْ إِسَارِهِمَا، كَمَا أَصَرَ «إِدْمُنْد» عَلَى حَبْسِهِمَا. وَدَارَتْ مُنَاقَشَةٌ عَنِيفَةٌ

بَيْنَهُمَا، وَانْتَصَرَتِ الْأُخْتَانِ لِمُسْتَشَارِهِمَا الْحَيْثِ. وَغَضِبَ الْأَمِيرُ
«أَلْبَانِي»؛ فَدَعَاهُ لِلْمُبَارَاةِ (الْمُضَارَبَةُ بِالسَّيْفِ).

٤ - بَيْنَ «إِذْمُنْدَ» وَ«إِذْجَارَ»

وَجَاءَ - فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ - «إِذْجَارُ»: ابْنُ الْأَمِيرِ «جُلُوسَتَر»؛ فَدَعَا أَخَاهُ
«إِذْمُنْدَ» إِلَى نِزَالِهِ (مُبَارَاةً) قَائِلًا:

«هَلُمَّ أَيُّهَا الْقَائِدُ الْعَظِيمُ، فَاثْمَشِقْ حُسَامَكَ (أَشْهَرُ سَيْفِكَ)، وَاكْتُبْ
آخِرَ صَفْحَةٍ فِي تَارِيخِ حَيَاتِكَ الْمَمْلُوءَةِ بِالشُّرُورِ وَالْأَرْجَاسِ (الْخَطَايَا)
وَالدَّنَايَا. هَلُمَّ فَانْتَقِمْ لِشَرَفِكَ مِمَّنْ يَرْمِيكَ بِكُلِّ مُخْزِيَةٍ، وَيَتَّهَمُكَ بِكُلِّ
نَقِيصَةٍ. هَلُمَّ إِلَيَّ؛ فَرَوْ (اسْتَقِ) رُمْحَكَ مِنْ دَمِي إِنْ اسْتَطَعْتَ، لَعَلَّكَ
تَغْسِلُ مَا لِحَقِّكَ مِنَ الْإِهَانَةِ الَّتِي لَوَّثَتْ بِهَا شَرَفَكَ الرَّفِيعَ. فَإِنْ عَجَزْتَ
عَنْ ذَلِكَ، فَلَنْ يُعْجِزَنِي قَتْلُكَ!».

فصاح فيه «إِذْمُنْدُ»:

«إِنَّمَا جَاءَ بِكَ إِلَيَّ حَيْنُكَ (انْقِضَاءُ أَجْلِكَ). وَلئنْ جَهِلْتُ مَنْ
أَنْتَ، لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ سَافَتْهُ حَمَاقَتُهُ إِلَى الرَّدَى. وَأَسْلَمَهُ أَجْلُهُ
إِلَى الْهَلَاكِ. وَإِنَّ سَيْفِي هَذَا لَكَفِيلٌ بِتَأْدِيبِ أَمْثَالِكَ، وَالتَّنْكِيلِ بِكَ،
وَجَعْلِكَ عِبْرَةً لِكُلِّ مَنْ يَعْتَبِرُ.».

وَمَا أَتَمَّ وَعِيدُهُ حَتَّىٰ بَدَأَ هُجُومَهُ عَلَىٰ مُنَازِلِهِ (خَصْمِهِ)، وَدَارَتْ رَحَى الْقِتَالِ بَيْنَهُمَا، وَاشْتَدَّ صِرَاعُهُمَا، وَسُرَّعَانَ مَا عَاجَلَهُ «إِدْجَارٌ» بَطْعَنَةً قَاتِلَةً؛ فَهَوَىٰ «إِدْمُنْدُ» إِلَى الْأَرْضِ مُجَدِّلاً (صَرِيحًا)، يَتَعَثَّرُ (يَتَخَبَّطُ) فِي دَمِهِ. وَاسْتَوَى الدَّهْشُ عَلَى الْحَاضِرِينَ، وَعَقَدَ الذُّهُولُ أَلْسِنَتَهُمْ؛ فَلَمْ يَدْرُوا مَا يَفْعَلُونَ.

٥- مَصَارِعُ الْخُبْنَاءِ الثَّلَاثَةِ

وَلَمَّا سَقَطَ «إِدْمُنْدُ»، صَاحَتْ «رِيحَانُ» مُفْرَعَةً، تَتَلَوَّى مِنْ فَرْطِ الْأَلَمِ، ثُمَّ أَغْمِيَ عَلَيْهَا؛ فَوَقَعَتْ - مِنْ فَوْرِهَا - جُثَّةً هَامِدَةً. أَتَدْرِي - أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ - بَأَيِّ شَيْءٍ قُتِلَتْ «رِيحَانُ»؟ بِالسُّمِّ قَتَلَتْهَا «جُنْرِيْلُ»؛ لِتَسْتَأْتِرَ بِالْمُلْكِ وَحَدَهَا! وَلَكِنَّ أَمَلَهَا قَدْ خَابَ، حِينَ رَأَتْ قُوَّةَ «إِدْجَارِ»، وَانْتِصَارَهُ عَلَى مُسْتَشَارِهَا «إِدْمُنْدِ»، الَّذِي نَاطَتْ (عَلَّقَتْ) بِهِ كُلَّ أَمَالِهَا فِي التَّفَرُّدِ بِالْمُلْكِ، وَالِاسْتِثْنَاءِ بِالسُّلْطَانِ؛ فَعَاجَلَتْ نَفْسَهَا بِطَعْنَةٍ قَاتِلَةٍ أَوْدَتْ بِهَا (أَهْلَكَتْهَا)، وَمَضَتْ بِرُوحِهَا إِلَى الْجَحِيمِ. وَرَأَى «إِدْمُنْدُ» أَنَّ كُلَّ مَا بَنَاهُ - بِالْغَدْرِ وَالْعُقُوقِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَى أَقْرَبِ النَّاسِ وَأَبْرَرِهِمْ بِهِ - قَدْ انْهَارَ (سَقَطَ) أَمَامَهُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَصَاحَ مُسْتَعْظِفًا قَاتِلَهُ:



«خَبَّرَنِي بِرَبِّكَ: مَنْ أَنْتَ؛ لِأَعْرِفَ اسْمَ مَنْ كَتَبَ عَلَيَّ يَدَيْهِ
مَضْرَعِي؟».

فَأَجَابَهُ «إِدْجَارُ»:

«أَنَا ابْنُ مَنْ كَفَّاتَ إِحْسَانَهُ إِلَيْكَ، وَبِرَّهُ بِكَ، وَتَرَبَّيْتَهُ إِلَيْكَ، أَفَبِحَ
مُكَافَأَةٍ. أَنَا ابْنُ الْأَمِيرِ «جُلْستَر» الَّذِي تَبَنَّاكَ؛ فَأَغْرَيْتَ بِهِ أَعْدَاءَهُ،
وَمَكَّنْتَ لَهُمْ مِنَ التَّنْكِيلِ بِهِ؛ حَتَّى حَرَمُوهُ نُورَ عَيْنَيْهِ. وَقَدْ مَاتَ - مُنْذُ
دَقَائِقَ - مِنْ هَوْلٍ مَا رَأَى مِنْ الْمَصَائِبِ وَالْأَحْدَاثِ».

٦ - تَوْبَةُ الْعَالِكِ

فصاح «إِذْ مُنْذُ» مُتَفَجِّعًا:

«مَا أَصْدَقَ مَا فَاهَتْ بِهِ شَفَتَاكَ! لَقَدْ حَقَّ عَلَيَّ الشَّقَاءُ، وَلَقِيتُ مَا أَنَا
أَهْلٌ لَهُ مِنَ التَّنْكِيلِ وَالْجَزَاءِ، وَحَاقَتْ عَلَيَّ اللَّعْنَةُ إِلَى الْأَبَدِ. وَلَكِنِّي
أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ ضَارِعًا أَنْ تُسْرِعَ بِنَجْدَةِ «لِير» وَبِنْتِهِ «كُرْدِيَا»؛ فَقَدْ
أُصْدَرْتُ أَمْرِي بِقَتْلِهِمَا فِي سِجْنِهِمَا خُلْسَةً (خُفِيَّةً)، قَبْلَ أَنْ أَشْتَبِكَ
مَعَكَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الْقَاضِيَةِ؛ لَعَلِّي أَكْفُرُ - بِإِنْقَاذِهِمَا - عَنْ شَيْءٍ يَسِيرٍ
مِمَّا اقْتَرَفْتُ مِنَ الْخَطَايَا وَالْآثَامِ الْمُؤَبَّقَةِ (الْمُهْلِكَةِ)! هَلُمَّ فَأَنْقِذْهُمَا
قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ بِهِمَا الْهَلَاكُ».

ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ، وَأَسْلَمَتْهُ جِرَاحُهُ إِلَى الرَّدَى (الْمَوْتِ)؛ فَقَضَى
مُشِيعًا (مُودَعًا) بِاللَّعْنَاتِ، كَمَا سُيِّعَتْ «جُنْرِيْلُ» وَ«رِيْجَانُ».

٧ - مَضْرَعُ «كُرْدَلِيَا»

وَلَقَدْ بَدَّلَ الْحَاضِرُونَ كُلَّ مَا فِي مَقْدُورِهِمْ، فَاسْرَعُوا لِإِنْقَاذِ الْأَسِيرِينَ.
وَلَكِنَّ سُرْعَتَهُمْ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا فِي إِنْقَاذِ «كُرْدَلِيَا» الطَّاهِرَةَ الْقَلْبِ، الزَّكِيَّةِ
النَّفْسِ؛ فَقَدْ نَفَذَ سَهْمُ الْقَضَاءِ - وَلَا مَرَدَّ لَهُ - وَلَقِيَتْ حَتْفَهَا (هَلَاكَهَا)
مَضْلُوبَةً فِي السَّجْنِ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَهَا أَيْدِي الرُّحَمَاءِ الْمُنْقِذِينَ.
وَاسْتَوَى الذُّعْرُ وَالْخَبَالُ عَلَى الشَّيْخِ «لِيرَ»، حِينَ رَأَى مَا حَلَّ بِابْنَتِهِ
الْوَفِيَّةِ الَّتِي لَقِيَتْ حَتْفَهَا فِي سَبِيلِ نَصْرَتِهِ؛ فَحَمَلَ جُثَّتَهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ،
وَهُوَ يُصَيِّحُ مُغَوِّثًا نَادِبًا:

«إِلَيَّ، أَيُّهَا الْبَاكُونَ! إِلَيَّ، أَيُّهَا الْمُعْوِلُونَ (الصَّائِحُونَ بِالْبُكَاءِ)! إِلَيَّ،
أَيُّهَا الْحِجَارَةُ وَالصُّخُورُ الَّتِي سُمِّيَتْ أَنَا سِيَّ (بَنِي آدَمَ)! إِلَيَّ، فَاْمُرُّوا
بِدُمُوعِي دُمُوعَكُمْ، وَصَيِّحُوا مَعِي كَمَا أُصَيِّحُ، وَأَعْوِلُوا نَادِبِينَ حَتَّى
تَنْفَطِرَ (تَنْشَقَّ) السَّمَاءُ عَلَيْنَا حُزْنًا وَالْأَمَّا!

لَقَدْ مَاتَتْ! أَلَا تُصَدِّقُونَ؟

وَيَّ! هَلَكْتَ! أَمْ كَذَّبِيَّ أَنْتُمْ؟



أَنَا لَا أَجْهَلُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمَيِّتِ وَالْحَيِّ، إِنَّهَا لَا تَنْبِسُ بِنْتِ شَفَةِ (لَا تَلْفِظُ بِحَرْفٍ)! لَقَدْ هَمَدْتُ، فَمَا تُحْسُ شَيْئًا! هَاتُوا مِرَاةً فَأَذْنُوهَا مِنْ فَمِهَا؛ فَإِنْ طَبَعَتْ عَلَيْهَا نَفْسًا مِنْ أَنْفَاسِهَا، فَلَا تَثْقُوا بِي!
 آه لَوْ بَقِيَتْ سَالِمَةً إِلَى جَانِبِي! إِذَنْ غَفَرْتُ كُلَّ مَا حَلَّ بِي مِنْ أَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ!
 إِذَنْ أَنْسَتَنِي السَّعَادَةُ - بِحَيَاتِهَا - كُلَّ مَا غَمَرَنِي (مَا شَمَلَنِي) مِنْ أَسْوَاءٍ (مَصَائِبٍ) وَأَحْزَانٍ!.

٨ - لَوْعَةُ الثَّائِلِ

وَ حَاوَلَ خَلَصَاؤُهُ وَأَصْفِيَاؤُهُ (أَصْدِقَاؤُهُ الْمُخْلِصُونَ): «كَنتُ»
 وَ «إِذْ جَارَ» وَ «أَلْبَانِي» جَمِيعًا أَنْ يَهُوُّنَا عَلَيْهِ مِنْ مُصَابِهِ وَفَجِيعَتِهِ؛
 فَصَيِّحَ فِيهِمْ مُعْوَلًا، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الدُّهُولُ:
 «لَقَدْ مَاتَتْ، وَعَجَزْتُمْ عَنْ إِنْقَازِهَا جَمِيعًا! فَمَا فَائِدَةُ الْحَيَاةِ بَعْدَهَا؟
 وَاحْسَرْتَا عَلَى شَبَابِهَا النَّاضِرِ! مَا كَانَ أَعْدَبَ صَوْتَهَا الرَّقِيقَ! وَمَا كَانَ
 أَطْيَبَ قَلْبَهَا الشَّفِيقَ! أَرَأَيْتُمْ أَرْكَى (أَطْهَرَ) مِنْهَا نَفْسًا، وَأَكْرَمَ خُلُقًا؟
 فَكَيْفَ امْتَدَّتْ إِلَى عُنُقِكَ يَدُ الْجَانِي الْأَيْمِ؛ فَأَقْدَمَ عَلَى صَلْبِكَ، دُونَ أَنْ
 تَأْخُذَهُ - فِي شَبَابِكَ - رَحْمَةٌ؟!

لَقَدْ صَرَعتُ قَاتِلَكَ بِالسَّيْفِ، وَمَا تَشَفَّيْتُ مِنْ غَيْظِي، وَلَا بَرَدْتُ
 بِذَلِكَ غَلِيْلِي (لَمْ أَشْفِ حَرَارَةَ حُزْنِي وَحَقْدِي)!
 يَا لَهُمْ مِنْ أَثْمَةٍ طُغَاةٍ (مُجْرِمِينَ مُعْتَدِينَ)! لَقَدْ خَنَقُوا «الْبُهْلُولَ» فِي
 السَّجْنِ، وَأَهْلَكُوهُ جَزَاءً وَفَائِهِ لِي!
 الْوَيْلُ لِلْجَانِينِ! وَالْوَيْلُ لِلسَّفَاحِينِ (الَّذِينَ أَسَالُوا الدَّمَاءَ)! لَقَدْ
 تَرَكَوا الْجِرْذَانَ (الْفِيرَانَ) وَغَيْرَهَا مِنْ دَوَابِّ الْأَرْضِ، دُونَ أَنْ يَنْتَزِعُوا
 أَرْوَاحَهَا مِنْهَا. وَلَكِنَّهُمْ ضُنُّوا (بَخِلُوا) عَلَى «كُرْدَلِيَا» الْوَفِيَّةِ الْمُخْلِصَةِ
 بِالْحَيَاةِ الَّتِي تَنْعَمُ بِهَا الْخَيْلُ وَالْكَلابُ!..

٩ - خاتمة «لير»

وهكذا استسلم الملك «لير» الحزين الثاكل (الذي فقد ولده)
 لآلامه. وما زال يهذي حتى أسلمه هديانه إلى الجنون، واسودت
 الدنيا في عينيه، وغمرت الأحزان قلبه؛ فأظلم، ثم أغمي عليه.
 وأفاق لحظة قصيرة، فالتفت إلى وزيره المخلص قائلاً:
 «كنت»: لقد عرفتك!
 «كردليا»: لقد فقدتِك إلى الأبد!..
 ثم أغمي عليه ثانية، وأسلمته أحزانه إلى الردى... فمات!

مكتبة الكيلاني

مَجْمُوعَاتُهَا: تُسَايِرُ التَّلْمِيذَ فِي نَحْوِ مَائَةٍ وَخَمْسِينَ قِصَّةً ، رَائِعَةً الصُّورَ ، بَدِيعَةَ الإِخْرَاجِ ، مُتَدَرِّجَةً بِهِ مِنْ رِيَاضِ الأَطْفَالِ إِلَى خِتَامِ التَّعْلِيمِ الثَّانَوِيِّ . ثُمَّ تُسَلِّمُهُ إِلَى مَكْتَبَةِ الكِيلَانِيِّ لِلشَّبَابِ .

مَادَّتُهَا: تُقَوِّمُ الخُلُقَ ، وَتُرَبِّي الذِّهْنَ ، وَتُعَلِّمُ الأَدَبَ .

فُنُّهَا: يَشُوقُ القَارِئَ وَيُمْتِعُهُ ، وَيُحِبُّ الكِتَابَ إِلَيْهِ .

لُغَتُهَا: تُنَمِّي مَلَكَةَ التَّعْبِيرِ ، وَتَطْبَعُ اللِّسَانَ عَلَى فَصِيحِ البَيَانِ .

ثَوْرَةٌ رَشِيدَةٌ ، أَجْمَعُ عَلَى تَأْيِيدِهَا وَزُرَّاءُ المَعَارِفِ وَرُعَمَاءُ التَّعْلِيمِ وَقَادَةُ الرَّأْيِ فِي الشَّرْقِ ، وَكِبَارُ المُسْتَشْرِقِينَ وَأَعْلَامُ التَّرْبِيَةِ فِي الغَرْبِ .

أَوَّلُ مَكْتَبَةٍ عَرَبِيَّةٍ عُنِيَتْ بِنَشِئَةِ الطِّفْلِ عَلَى أَحْدَثِ أُسُسِ التَّرْبِيَةِ الصَّحِيحَةِ . تَوَالَتْ طَبَعَاتُهَا العَرَبِيَّةُ ؛ فَتَثَقَّفَ بِهَا الجِيلُ الجَدِيدُ فِي بِلَادِ العُرُوبَةِ ، وَلَمْ يَخُلْ مِنْهَا بَيْتٌ عَرَبِيٌّ .

تُرْجِمَتْ إِلَى أَكْثَرِ اللُّغَاتِ الشَّرْقِيَّةِ وَبَعْضِ اللُّغَاتِ الغَرْبِيَّةِ .

مَدْرَسَةٌ حُرَّةٌ ، إِذَا عَرَفَهَا التَّلْمِيذُ ، سَعَى إِلَيْهَا بِلَا تَرْغِيبٍ وَلَا تَرْهِيْبٍ .

كَانَتْ أَكْبَرَ أُمْنِيَّةِ لِلابَاءِ ، وَهِيَ اليَوْمَ أَشْهَى غِذَاءٍ ثَقَافِيٍّ لِلابْنَاءِ .